حش ملك

مجلة إلكترونية سياسية ـ اجتماعية ـ نقّادة ـ ساخرة
تطمح لأن تكون هزلية

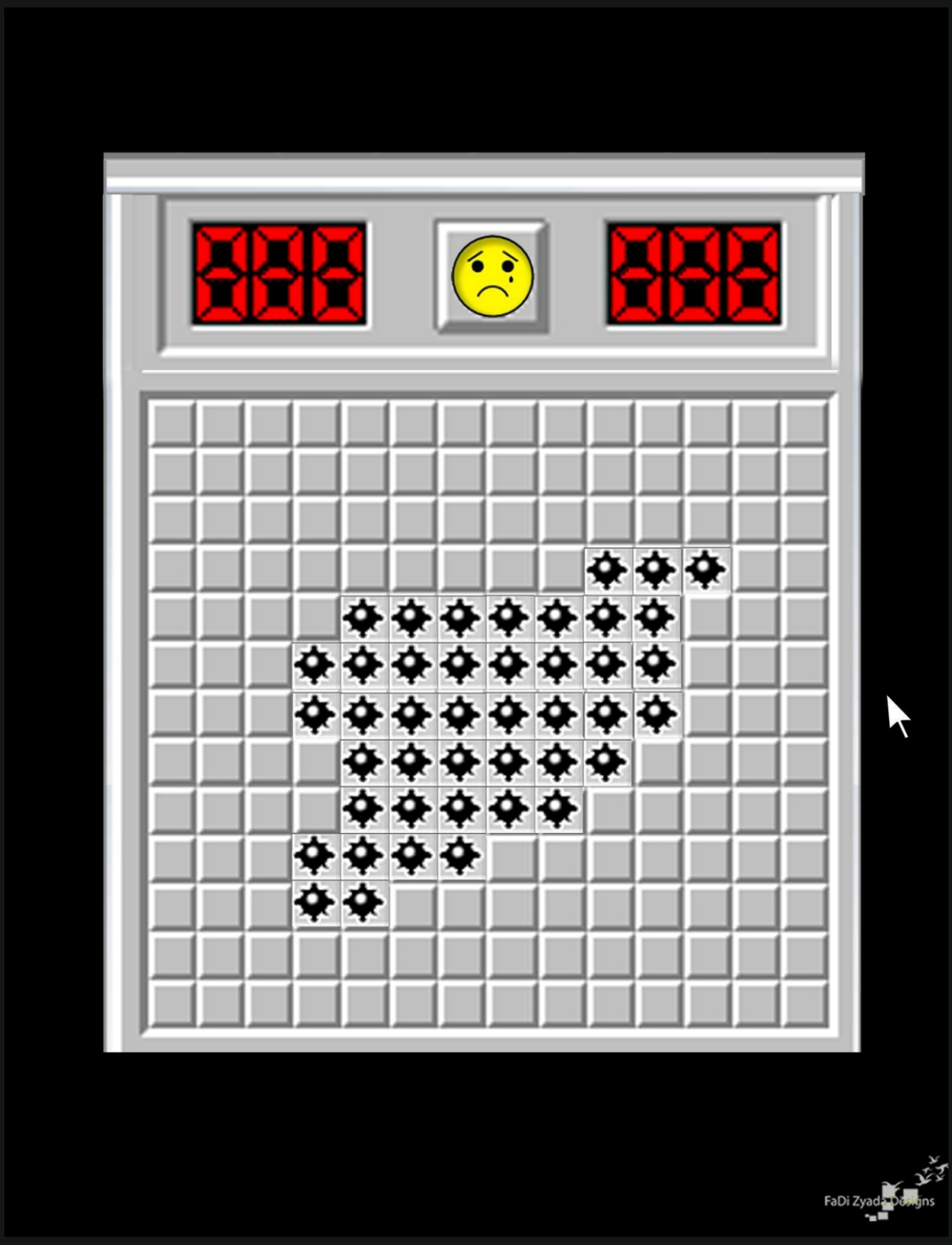

إذا أنت جاهز نار

أفواه المجانين

مع التيار ضد التيار

سيرة البيادق

شي ضرب شي قتل

إعلانات كش ملكية

سجل القادة التاريخيين

مختصون بكش الملوك

مدونات الحمير

فتشوا عن مغزاها

بمنتهى الجد والهزل

رئيس التحرير : خطيب بدلة

المدير الفني : محمود نحلاوي

مديرة التحرير : صبا جميل

الإخراج الفني : وافي بيرم

الفنانون المشاركون:

هاني عباس- موفق قات

حسام سارة- ماهر حميد- إنليل

رسوم الوجوه: بنت الهيط

رسوم الوجوه: إنانا عبدللي

كش ملك

مجلة إلكترونية سياسية . اجتماعية . نقادة . ساخرة

تطمح لأن تكون هزلية

معلومة صحيحة وثابتة: يشارك في تحرير "مجلة كش ملك" كتابٌ كبار (وكاتبات كبيرات).. وكتابٌ شباب مفاجئون (وكاتبات شابات مفاجئات) أقل واحد فيهم (فيهنّ) يتفوق في الأهمية على رئيس التحرير..

إذا أنت جاهز نار

مجلة "كش ملك" في عالم (الفحول)

المتورط برئاسة تحرير كش ملك: خطيب بدلة

من زمان، في سوريا الأسد، تَقَدَّمَ شاعرٌ ناشئٌ بدفتر من فئة الـ ٢٠٠ صفحة إلى أحد المحررين الصحفيين، وأفهمه أن الدفتر يحتوي على عدد كبير من القصائد الشعرية المتميزة، وأن بإمكانه أن يَغرف من هذا الإبداع الأدبي العظيم وينشر من مكنوناته، ليس على كيفه فقط، وإنما (على كيف كيفه) ..!

وكان في صحبته ناقدٌ من نفس "الموديل "الخارق .وأراد الناقد أن يُزَكي صديقَه الشاعر أمام المحرر، فقال له :

-هذا الشاعر (فيه من حاله)

تساءل المحرر :كيف يعني (فيه من حاله) بلا صغرة ؟

فقال :يعني فَحْل!

فنقز المحرر الصحفي، فجأة، إذ تهيأ له أن الشاعر الفحل من النوع الذي (ينطح)، وسَحَبَ أنفه إلى الوراء متوقعًا أن تفوح منه رائحة فَحْل الماعز (التيس) حينما يكون في حالة السفاد .

"كش ملك"، هذه المجلة الإلكترونية الساخرة، ليست أقل شأنًا من ذلك الشاعر الفحل، الصنديد ..و(فيها من حالها) !ويستطيع المراقب أن يلاحظ تَقَدُّمَها، كل يوم عن اليوم الذي يسبقه، في كافة المجالات، وبهمة الطيبين طبعًا.

فبعدما أقلعت المجلة بقليل، سارع النظام السوري الفحل، الصنديدُ، إلى حجب موقعها الأصلي(http://kishmalek.com/) ، وبذلك خسرت ملايين المتابعين السوريين الذين وجدت، أساسًا، من أجلهم!

وخسرت المجلة، كذلك، عددًا من الأصدقاء الناشطين الذين دأبوا على متابعة مجموعتها المفتوحة منذ البداية، لأن إدارة الصفحة لم تحترم رغبة بعضهم في نشر أشياء قوية جدًا، ونافعة جدًا للأمتين العربية والإسلامية، ولمصر الشقيقة، ولسوريا، وللجزائر ولأوكرانيا .فكان أحدهم يقول لنا، مثلاً:

-إنكم لا تسمحون لنا أن ننشر على الصفحة صور المجازر البشعة التي يرتكبها النظام السوري وأشلاء الشهداء الأبرياء وعويل أهاليهم عليهم، وبهذا فأنتم تتسترون على الجرائم وتساعدون النظام بشكل غير مباشر!

ويقول ثانٍ:

-إنكم تمنعوننا من التحدث في الشأن المصري وانقلاب السيسي على الشرعية، بحجة أن "كش ملك "مجلةٌ تُعنى بالشأن السوري، وكأنكم لا تعلمون أن عبد الفتاح السيسي يسير على خطا حافظ الأسد حينما استولى على السلطة بانقلاب عسكري، وعين أحمد الخطيب رئيسًا مؤقتًا ريثما يشلح هو البدلة العسكرية ويشرع بحكم سوريا بالحديد والنار!

ويقول ثالث:

-أنتم تعارضون نشر بيانات الجيش الحر، وبطولاته، وصور شهداء الوطن التي التقطت لهم مع أسلحتهم حينما كانوا يرابطون على الثغور، فهل أنتم ضد الله والوطن؟

ويقول رابع:

كلما نشرنا بوستًا فيه إعلانٌ عن تأسيس هيئة أو منظمة تعمل على تقديم الإغاثة والخدمات التي تنفع السوريين في دول الجوار المكتظة باللاجئين تحذفون البوست، فتمنعون وصول هذه الخدمات إلى أهلنا وشعبنا ..كم أنتم قليلو الخير والوفاء !

وقد زعل منا أحد الأصدقاء ونَفضَنَا بهدلةً من كعب الدست لأننا اعترضنا على نشره صورةً للسيدة سهير الأتاسي مُعَالَجَة على الفوتوشوب تُظهرها في وضعية منحطة، حجتُه في ذلك أن سهير سرقت أموال الثورة، فأصبح من حقنا محاربتها بكافة صنوف الأسلحة المشروعة وغير المشروعة!

وزعل منا صديق آخر لأننا طلبنا منه أن يذهب إلى موقع صحيفة الشرق الأوسط الإلكتروني حيث نشر المناضل ميشيل كيلو رأيه بمعركة الساحل، ويضع رأسه في رأسه، ويلعن سنسفيل الذي نفضه لأنه تطاول على مقدسات الثورة، وفي مقدمة هذه المقدسات "معركة الساحل "طبعًا .

قال ما معناه :يجب أن نهاجمه هنا على صفحة كش ملك، أم أنكم تريدون أن تتستروا على مثل هذه التصرفات الإجرامية المسيئة للثورة؟

أحدثنا، بناء على اقتراح المدير الفني الأستاذ محمود نحلاوي، صفحةً على اليوتيوب باسم "كش ملك "واعتمدنا على الفتى الهاوي "الأمين بدلة "في إنتاج فيلم قصير جدًا بعنوان "جنيف "2وهو عبارة عن قصيدة لشاعر الكويتي ينتقد فيها -على نحو ساخر -النظام السوري المجرم الذي يمعن في قتل الشعب السوري حتى أثناء انعقاد مؤتمر جنيف 2، وينتقد في الوقت نفسه أداء المعارضة السورية ويرثي لحال الشعب السوري العالق في وسط هذه المعمعة.

أول شيء تحقق بعد إنتاج الفيلم هو أن حكومة أردوغان حجبت اليوتيوب في تركيا، فخسرنا أكثر من مليون سوري كان من الممكن أن يشاهد بعضُهم فيلمنا !ثم انبرى لنا أحد المعارضين متهمًا إيانا بالسخف لأننا ننتقد المعارضة السورية، والمعارضة فيها ميشيل كيلو، وميشيل كيلو مناضل كبير غني عن التعريف ..!وبهذا نكون قد سخرنا مجلتنا لخدمة النظام المجرم!

***

إنه لمن المعيب، بل ومن الممل، أن أستمر في عرض منجزات صحيفتنا الإلكترونية الشابة التي (فيها من حالها) ..!!ولكنني أستطيع أن أؤكد لكم أننا، إذا بقينا ماشين على هذا المنوال، فسوف تضمحل، وتتلاشى .

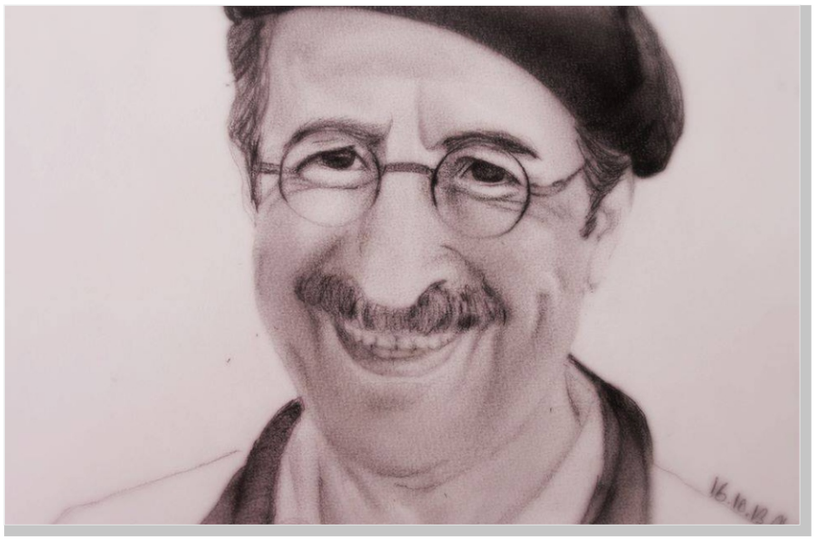

رفيق شامي

إعراب ليس فقط للمبتدئين

مَدَحَ شاعرٌ حماقةَ الطاغيةِ

مَدَحَ: فعل ماض، لكنه سيظل حاضرًا ما دام هناك بشرٌ يرزقون. والمدح نقيض الهجاء والذم. يقال أيضـــــًا مدحة (جمعها مِدَحٌ) ومديح (جمعها مدائح). والمادح يثني على المفعول به، وهو هنا الممدوح، بما له من صفات حسنة. لكن الممدوح لا يشعر في لحظة المديح إطلاقًا أنه مفعول به، بل ينفش ريشه كطاووس فاعل، وهو إذا كان صاحب مال وسـلطة يكون، على الغالب، فاعلاً في المادح. وسـنأتي أدناه على ذلك. والمداح هو من يبالغ في المدح ويتقنه.

والمدح بحد ذاته جميل الوقع على الأذن إذا تميز بالصـدق. لكنه إذا تميز بالنفاق يصـبح سمجًا لكونه ضربًا من الاسـتغباء للممدوح، وبرهانًا على غياب كل خلق المادح. فأنت ترى كتبًا بكاملها تمدح ديكتاتورًا لم يقم بعمل في حياته سـوى انقلابه، وهو على الأغلب من تخطيط آخرين، وفجأة يصـبح عالمًا، ومفكرًا، وأديبًا.. يخزي العين عنه. ولن أنسى في حياتي صورة صدام حسين في التلفزيون وهو يشـرح لعلماء ذرة عراقيين في مدرج جامعي ما عليهم أن يقوموا به، وهم يهزون رؤوسـهم خانعين لهذا القاتل البدائي. ولقد وجدت أثناء كتابة هذا الإعراب أكثر من عشـرين كتابًا صدرت عن مادحي صدام تتغنى بجوانب عبقريته في الحرب والسياسة والعلم والتياسة. يا ضيعان الورق والأشجار التي قطعت لصنعه.

شاعرٌ: فاعل مرفوع بالضـــمتين لكثرة ما ضم من أجر لمدحه. وكلمة شاعر أصلها المصـدر الثلاثي (شَعَرَ). وتقارب قواميس اللغة معنى فعل شَعَرَ من معنى عَلِمَ بشـيء. ويدلون على ذلك بتفسـير جملة "ليت شعري" بمعنى ليتني علمت والأصح أنها تعني ليتني شعرتُ. والشعور لا يرقى إلى درجة العلم. لكنه بلا شك يقترب من درجة العلم في استعماله بجملة. أشـعرَه بالأمر، أم أشـعره به، أي أعلمه إياه. والشِّعْرُ هو القول المنظوم وجمعها أشعار وقائلها شاعِرٌ أي بمعنى أنه يَشْعُرُ أكثر مما يَشـعر غيره. على الأقل يعبر لغويًا عن ذلك. ولا يقال في الأدبيات القديمة ألقى الشـاعر فلان قصـيدة، إنما يقال، على الأغلب: أنشدَ الشاعر...

وللشـــعراء مكانة كبيرة في المجتمع العربي. مكانة لا يحظى بها الفلاسفة ولا علماء الطبيعة ولا حتى عباقرة الهندسـة والطب والفلك. فأي طالب صـغير يعرف أسـماء عشرات الشـعراء ولا يفرق بين الكندي وابن الهيثم، أو بين الحلاج وابن رشد ولا يدري ما الذي قام به هؤلاء بينما يردد أبياتًا شعرية لهذا الشـاعر أو ذاك حفظها عن ظهر قلب حتى دون أن يفهم معناها. وحتى يومنا هذا ترى الصـحف تتناول مواقف الشـعراء من ثورة ما باهتمام يقارب التقديس بينما لا تهتم نفس الصـــحف بمواقف مفكرين عالميين. فمن أين أتى هذا التفخيم للشـــعراء الذي لا تعرفه المجتمعات المتحضـــرة، وما هي عواقبه؟

الشـعراء كانوا فيما مضـى جهاز إعلام السـلطة الوحيد. فشـيخ القبيلة، الأمير، الخليفة، السـلطان أو الملك كان يطعمهم ليغنوا له وليتغنوا به وبذلك تتجاوز دعايته حدود قبيلته جغرافيًا وحتى زمنيًا. ومع مرور الزمن صـار المديح مهنة لها أصـولها وقواعدها مثل أي مهنة يتقرب بها الشعراء من سلاطين المال والسياسة لينالوا مكافأة أو – وهذا ما كان يحلم به أغلب الشـعراء – لأن يصـبحوا من شعراء خيمة الشـيخ أو قبيلة الأمير أو بلاط الخليفة. بالطبع كان هناك عشـرات آلاف الشـعراء الشـرفاء لكن أثرهم كان يندثر فور موتهم، لأن قلة من أشعارهم خلدها الرواة الشفاهيون، فالسلطة وحدها كانت آنذاك تمتلك وسائل النشر والكتابة.

والشـعر يرضي نفوس مسـتمعيه بوقعه الموسيقي، وفي بعض الأحيان بدغدغته شغافَ القلب بكلماته الرقيقة، الحزينة، المرحة أو السـاخرة. ومن ثم كان الشـعر على الدوام أقرب إلى قلوب الناس وعقولهم من الفلسـفة أو العلوم التي تحتاج لعمل وجهد فكريين. ولهذا السبب، أيضًا، تراجعت شعبية الشـعر الحديث الذي لم يعد يهتم بالقوافي وبالوزن وموسيقى أبياته، وصار يتطلب جهدًا لاستساغته عقليًا.

وهذا القرب من ذوق الأغلبية والانتشـــار الواسع للشـــعر أثرَ في بنية اللغة العربية وقواعدها تأثيرًا سلبيًا لا مجال هنا لمعالجته، فالشـــعر يركز على موسيقية الجملة وليس على منطقيتها وتركيز محتواها بأقل ما يمكن من الكلمات والقواعد. ويعلم كل من يقرأ الشعر القديم بتأنٍّ كم مَيَّعَت القوافي محتوى البيت الشعري.

ولنلخص نقول. تمتع الشاعر إذن، وعلى مر آلاف السنين، بثلاث صفات لا يملكها عامة الشـعب: قرب الشـاعر من الحكام ونيله شيئًا من بذخهم، تمكنه من ناصية اللغة ومقدرته على اللعب بها، وأخيرًا إدخاله الفرحَ، عبر شِعْره، إلى قلوب مســـتمعيه، وأحيانًا إلى عقولهم. وعبر هذه الصفات علت مكانة الشـاعر في مجتمع مضـطهد، مُفقر عمدًا وعلى الأغلب أمي لا يستطيع فك ألغاز الحروف ناهيك عن قواعد اللغة.

وبالمقابل صار شغل الشعر الشاغل مدح وتبجيل السلطان وقدح أعداء طغيانه وذمهم.

ولهذا التبجيل نتائج سلبية جدًا، أولها توطيد شخصـــية الطاغية المهلهلة والآتية على الأغلب من العدم وتأليهها مما يساهم مباشرة في استعباد الشعوب كما سنبين أدناه.

لكن، ولشـــرف الكلمة، علي أن أضيف أن مجتمعنا العربي يحافظ، عبر جموده منذ ١٢٠٠ سنة، على استمرارية هذه النظرة للشـــعراء، ويزيدُ، عبر تأخره الاجتماعي الاقتصـــادي، من تبعية شعراء وكتاب البلاد للطاغية. فأين هي دور النشـــر التي تدفع للكتاب والشـــعراء أجور أتعابهم؟ وأين حقوق الكتاب؟ تراها تتأوه تحت نعال تجار الكتب. فرغم تقدم وسائل الطباعة وجمال إنتاجها ومضـــاهاتها لنوعية كتب أوروبا في القرن ٢١ لا تزال العلاقة بين الكاتب والقارئ مريضـــــة وكأن العثمانيين لا يزالون يحكمون بلاد العرب... لا بل إن وضع الكتاب الأتراك أفضل ألف مرة من وضع الكتاب العرب، حتى صـار كتابنا، لفرط إحباطهم، يهللون للوضـع ويتهمون كل من ينادي بحق الكاتب أن يعيش مما يكتبه وكأنه يخون المهنة. بينما هنا في منفاي الألماني عشت بنفسي مدى احترام ما يكتبه شاعر أو كاتب ليس كلامًا مدبجًا بل كحق في محكمة، إذ حاول أحد الناشرين قبل سنوات أن يطبع كتبي طبعات سرية بلغ حجمُها عشـرين ألف نسـخة دون أن يعلمني مدعيًا أن الكتاب لا يـزال متوفـرًا بطبعته الثانية فـي المخـزن. وقد ربحت الدعوى وأُجْبَرَتْه المحكمة على أن يدفع لي ضعفي ما سرقه وخسر حقوق النشـر ودفع تكاليف المحكمة... هذا وأنا الغريب المنفي هنا!!!

لهذا، فتبعية الكتاب والشـــعراء للطاغية لها أسباب تكمن في عجز مجتمعنا. وأنا آمل أن تقوض الثورة هذه التبعية وأن تصـبح الكتابة مهنة شريفة تتبع قوانين حضـارية يحررها من أية تبعية.

حماقةَ: مفعولٌ بها وفاعلة كلَّ النواقص بمن تـــركبه. وللحماقة، كما للذكاء، طبقات. والحمق ضد العقل. وللحمق معان أخرى أطرفها كسـاد البضـاعة في السـوق، وكأنهم يقصـــدون أن عقل الأحمق بضـــاعته فاسدة كاسدة. ومن أغرب المعاني للحمق هو: الخفيف اللحية (لســـان العرب) وكأن الأقدمين كانوا كالإسلاميين في أيامنا يعتقدون- بجهل- أن طول اللحية يتناسب طردًا مع عمق العقل وبعد النظر. وقد لفت الصـــديق رئيس التحرير خطيب بدلة انتباهي إلى قول الشاعر:

إذا عَرَضَتْ للفتى لحيّةٌ- وطالتْ فصارت إلى سُرَّتـــهُ

فنقصانُ عقل الفتى عندنا- بمقدار ما طال في لحيتهْ

والعكس صحيح. والحماقة ليس فقط مفعول بها بل هي إلى جانب كل بلاويها... مضافة. لأنها بدون المضـــاف إليه لا يُفهم لها معني، فلو توقفنا عند حماقة لما تم المعنى. حماقة من؟

الطاغيةِ: مضـاف إليه بالكسـرة في آخره والأفضـل أن تكون الكسـرة في رقبته. ال التعريف تضـــاف لكل نكرة وهل هناك أنكر من الحكام العرب. والطاغية مصـــدرها طغى: طَغَى يَطْغى طَغْيًا ويَطْغُو طُغْيانًا جاوَزَ القَدْرَ وارتفع وَتَرَفَّع على مَنْ دُونَه. وفي الحكم تعني تجبرًا وظلمًا وتكبرًا، وهي من أكثر الصفات التي تصلح لوصف حكامنا من

المحيط إلى الخليج. وطَغى الماءُ والبحر: ارتَفع وعلا على كلّ شيءٍ فاخْتَرَقه. والطاغية تعني، أيضًا، الصاعقة، ومَن طغى تُشتَق من الطاغوتُ: الشيطان وكل جبار لئيم.

إعراب الجملة: جملة فعلية بسيطة التركيب ذات أثر كبير في المجتمع. فهذا الشاعر الذي يموه بكلماته المبتذلة حماقة الحاكم مضفيًا عليها، برشة بهارات لغوية، صفة حكمة إلهية يكمل عمل الجهاز القمعي للطاغية. وشعراء عصرنا ليسوا أفضل حالاً ممن سبقهم في العصور الغابرة، وكأنهم لم يأخذوا تقدم المجتمعات البشرية بعين الاعتبار. فواحدهم تراه يدعي أنه تقدم إلى ما بعد الحداثة وأحيانًا يقيم هذا الشاعر المشعور في لندن، باريس أو نيويورك، ومتى عبر عن رأيه السياسي تراه انمسخ لقروي أو بدوي بدائي في القرن الثامن لم يرَ سوى مؤخرة حاكمه وكرشه فظنها جبال الهيملايا.

والأمثلة كثيرة ومخجلة لأنها تبين بدون رحمة إلى أي مدى انحط شعراء العربية. والشعر سلاح لغوي سريع التأثير يسهل استخدامه أكثر من النثر الذي يؤثر ببطء. ولا زلت، إلى اليوم، أذكر أغنية أجهل مؤلفها ومغنيها أعادت الإذاعة السورية في حزيران ١٩٦٧ إبان حرب "الساعات الستة" إذاعتها عشرات المرات يوميًا:

ميراج طيارك هرب مهزوم من نسر العرب

والميغ طارت واعتلت بالجو تتحدى القدر

وكما تبين لاحقًا، لا هي تحدت قدر ولا ضراب السخن... وبينما كان مذياع دمشق يكرر هذه الكذبة المخدرة أعطى راديو تل أبيب بكل برود درجات الحرارة في القنيطرة.

ملحق ليس فقط للفضوليين

يهتم بكشف تنابلة السلطان وتبيان خطرهم

بما أن وقتي ضيق جدًا وبما أن سلسلة إعراب ليس فقط للمبتدئين تصدر في صحيفة الكترونية ساخرة تطلق على نفسها اسم كش ملك فإن هذا الملحق يتبع نفس قواعد لعبة الشطرنج. ويهتم بكشف بيادق (عساكر) السلطان قبل أن يتم ترقيتها عند وصولها إلى الصف الأخير المقابل، ولذلك نقدم هذا الملحق الإضافي إلى من يهمه متابعة الأمر. فبرأيي يجوز تقديم هؤلاء الشعراء والكتاب المنافقين إلى محكمة عادلة لمحاكمتهم على المشاركة المباشرة في جرائم الطاغية. لقد أطلقت عليهم في كتاب لي اسم "تنابلة السلطان". وهم كما قلت أعلاه جزء هام وخطير من آلية طغيانه.

وما سأقدمه في هذا الملحق ليس إلا نقطة من بحر النفاق الذي جمعتُ وثائق عنه وهي، والحمد للإنترنت، متوفرة وبكفاية. إن تأليه الحاكم يعني تشجيع هذا الديكتاتور على المضي قدمًا في نهب شعبه وظلمه وقتله. وقد حوكم كل أتباع الفاشية والنازية من كتاب وفنانين لثبوت مشاركتهم في الجريمة. وفي الستينات من القرن الماضي اخترع أحد الصحفيين الألمان اسمًا دقيقًا لهؤلاء المساعدين للنازية وهو: مجرمو طاولة الكتابة.

خذ- مثلاً- أحمد شوقي الذي لم يترك حاكمًا إلا وتمسح به بذلّ لا يوصف. فقد أهدى الشاعر ديوانه عام ١٩٠٧ إلى الخديوي إسماعيل، وذيّل الإهداء بتوقيع "عبدُك المخلص أحمد شوقي". كما كتب قصيدة ليؤمن معاشه كما فعل حتى ذاك الوقت مع كل ملك مصري بأن مدح الطبل "فاروق" وهو لا يزال أميرًا بقصيدة مطلعها

فاروق يا أزكى نبات الوادي

ولمحة الآباء والأجداد

... إلى أن يقول في نهايتها:

فإن تقبلتَ، وهذا اعتقادي

جزيتَ إخلاصي واحتشادي

لجيلك الناهض بالبلاد

هل يقبل معلم عقلاني للعربية قصيدة كهذه من تلميذ في الصف السابع؟

لكن وبما أن ما يعنينا هو أخلاق الشاعر وليس أسلوبه، فإن تبجيلاً كهذا يزيد من جنون عظمة فاروق وغيره. وهل فكر هذا الشاعر بعواقب مثل هذا المديح؟ بالتأكيد عرفها ولم يفكر بها حين كتابته لهذا النفاق، بل فكر في حجم جائزته.

وقد مدح شوقي هذا كمال أتاتورك مبالغًا بقصيدة طويلة بثمانية وثمانين بيتًا من شعر ركيك عامر بالدجل، مشبهًا إياه بخالد بن الوليد، وبصلاح الدين، ومشبهًا معارك أتاتورك بمعركة بدر، ولولا ضيقُ ذات اليد لساواه بالرسول العربي فقال:

الله أكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب

يوم كبدر فخيلُ الحق راقصة على الصعيد وخيلُ الله في السحب

تهنئة أيها الغازي.... وتهنئة بآية الفتح تبقى آية الحقب

وذمّه، فيما بعدُ، بوقاحة مَن غُسِلَ دماغُه من كل ذاكرة، وبكى بكاءً مرائيًا على سقوط الخلافة العثمانية التي أزالها أتاتورك من الوجود في تركيا، وها هو شوقي يتصنع البكاء ويُبكي معه الشعوبَ كلها لسقوط الخليفة العثماني، ولولا ذرةُ خجله المتبقية لأبكى الكواكب والشمس على هزيمة مغتصبي النساء والشعوب. وهو هنا يخاطب السلطان المنهار عبد الحميد:

ضجت عليك مآذنٌ ومنابرُ

وبكت عليك ممالك ونواح

الهند والهِنّة ومصر حزينة

تبكي عليك بمدمع سحاح

والشأم تسأل والعراقُ وفارس

أمحا من الأرض الخلافة ماحي؟

سألت جدي آنذاك وهو الذي عاش كل هذه المرحلة. هل بكت الشام؟ فضحك قائلاً: بل تنفست الصعداء وتنفستُ معها لرحيل هذا المجرم.

كان شوقي رحمه الله وحرمه من إزعاج أهل الآخرة بأشعاره متواضعًا إلى أبعد حدود، وكان يلبس خرزة زرقاء لتحميه من الحسد على هذا التواضع الذي لا مثيل له: وها هو يتوج تواضعه ببيت شعري يحتقر به شاعرًا عبقريًا لا يقل عنه انتهازية وهو المتنبي:

ولي درر الأخلاق في المدح والهوى وللمتنّبي درة وحصاة

لكنه، على عكس المتنبي، لم يقدم جديدًا، لا شكلاً ولا مضمونًا، وقد حق فيه نقد عباس محمود العقاد بأنه "شاعر من خزف".. وبأنه "يزحف إلى الشهرة زحف الكسيح، وله في كلّ يوم زفة، وعلى كلّ باب وقفة"! كما نقد المنفلوطي شعراء تلك المرحلة: "شعراء مصر في هذا العصر ليسوا شعراء هذا البلد ولا هذا الزمن، وإنما هم جماعة من تجار العاديات، لا يزالون يصورون لنا في هذه العصور تماثيل كاذبة لآداب الجاهلية الأولى".

وحتى مبايعته أميرًا للشعراء، فقد تمت بشكل مافياوي بحفلة مُصْطَنعة ولدت ميتة وأثارت السخرية بشكل كبير. ومن شرشحتها لم يُقَدّر لها أن تُعاد والحمد لله. وقد علق الناقد اللبناني مارون عبود، على مراسيم المبايعة لشوقي: "لعنة الله على هذه الإمارة الجوفاء، فهي سخافة بلقاء".

طبعًا لشوقي بعض الأشعار المقبولة ولكن نسبتها ضئيلة. ولو كان صيادًا، مثلاً، لخرق كل الأشجار والأوراق في كل رحلة صيد ليصيب بعد كل ١٠٠ طلقة أرنبًا. ومن تلك الأشعار مديحه لبعض المدن مثل زحلة (يا جارة الوادي) ودمشق. ويعتز الدمشقيون بقصيدته عن دمشق:

سلام من صبا بردى أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق

ليس لجمال القصيدة إنما لأنهم يحبون مدينتهم وكل ما قيل عنها. حتى ولو كان مغنيها فهد بلان. وأنا أنصح الكتاب دومًا نصيحتين: أولاً أن يعتبروا أنفسهم قبل كل شيء فناني سيرك، فهناك يسبب خطأ واحد في قفص الأُسود، أو على الحبل في علو شاهق، كسر الرقبة، وثانيًا أن يأخذوا بعين الاعتبار وهم يكتبون أن ما يكتبونه سيُقرأ بعد مماتهم إلى أبد الآبدين ولمدة ٢٤ ساعة في اليوم. لكن كتاب وشعراء بلادنا يتبعون القول الغبي: قل كلمتك وامش. لا سيدي، عليك بعد قول كلمتك أن تبقى واقفًا معها لترى وتعيش نتيجتها.

عندما أقرأ بعض هؤلاء الشعراء الذين تمرغوا تحت طاولات طغاة البلاد وتنعموا بفضلات هذه الطاولات أتذكر قول الشاعر، وأغلب الظن أنه الحطيئة:

الشعراءُ فاعلمنّ أربعهُ

فشاعرٌ لا يرتجى لمنفعهُ

وشاعرٌ يُتشدُ وسط المعمعهُ

وشاعرٌ آخرُ لا يُجرى معهُ

وشاعرٌ لا تستحي أنْ تصفعهُ.

وهناك صيغة ثانية لطيفة أوردها الثعالبي:

الشعراء فاعلمنْ أربعــهُ

فشاعر يجري ولا يُجرى معهُ

وشاعر من حقه أن ترفعهُ

وشاعر من حقه أن تسمعهُ

وشاعر من حقك أن تصفعهُ

وأحد هؤلاء المنافق الكبير محمد مهدي الجواهري، الذي كتبَ:

سلامًا أيها الأسدُ

سلمتَ ويسلَمُ البلدُ

وتسلَمُ أمّةٌ فَخَرَتْ

بأنكَ خيرُ مَن وَلَدْ!!!

وكان قبلها قد مدح الملك فيصل الأول، وملك المغرب، وملك الأردن.. والعميل نوري السعيد.. وحتى أحمد حسن البكر وصدام حسين ثم هجاهم شرّ هجاء عندما ارتزق عند حافظ الأسد عدو صدام حسين.

ولهؤلاء جميعا طابور تاريخي لأسلاف منافقين أشهرهم المتنبي الذي لم يترك حاكمًا إلا

ومدحه. وكان قد ذهب إلى مصـــر باغيًا الحصـــول على قرى أو على الأقل قرية يعيش فيها على حساب عَرَق فلاحيها فمدح حاكم مصر آنذاك كافورًا الإخشيدي بقصائد منافقة لكنه بين في مقطع إحداها (بالمشرمحي- كما نقول في دمشق- بوضوح) إنه يريد ولاية، أو ضيعة أو قن دجاج:

إذا ضربتْ في الحرب بالسيف كفُّه تبينتَ أن السيف بالكف يُضرب

أبا المسك هل في الكأس فضلٌ أنالُه فإني أغني منذ حين وتشربُ

إذا لم تُنطْ بي ضيعةً أو ولاية فجـودُك يكسوني وشغلك يسلبُ

وَمَا طَرَبي لمّا رَأَيْتكَ بِدْعَةً لقد كنتُ أَرْجُو أنْ أَرَاكَ فأطرَبُ

(وكان كافور يُسَمى من المنافقين، لسواده، أبا المسك)

ولما رفضه كافور الخبير بالانتهازية خشية طموح هذا الرجل الجنوني، وأعرض عنه، ولم يمنحه القرية التي تمناها، ولا حتى كوخًا صغيرًا، هجاه المتنبي بقصـيدة عنصـرية فاضحة صارت مقولة محببة لدى العنصـــريين العرب متى كان جلدهم فيه شيءٌ من البياض:

لا تشتَرِ العَبد إلا والعَصَا معه إن العَبيدَ لأنجاسٌ مَناكيد

مَن عَلّم الأسودَ المَحْصِيَّ مكرُمة أقومُه البِيضُ أَمْ آباؤُه الصِيدُ

ويعود هذا التركيز على الجنس إلى ظاهرة الخوف من العجز الجنســـي التي تمتلك الأنفس الصغيرة، وكم ترتاح نفس الطاغية عندما يصفها شاعر منافق بالفحل.. والمتنبي لا يخفي إحباطه أن هذه الفحول لم تعطه، كفاية فيقول في نفس القصيدة...

وَذاك أن الفحولَ البِيضَ عاجِزَةٌ عن الجَميل فكيفَ الخِصْيَةُ السُودُ

ولكثرة فضـولي بحثت عن كافور الإخشـيدي وقرأتُ ملخصـًا جديًا لمؤرخ عن حياته. حكم كافور قرابة ٢٣ سـنة ولم تذكر أي كتب أنه كان حاكمًا سـيئًا. وقد صـمد في وجه الفاطميين في المغرب وبسـط سلطانه على مصـر وأجزاء من السـودان والحجاز وسـوريا. وكان ذكيًا، انتهازيًا من الطراز الأول، لكنه أنجز في حياة واحدة ما لم ينجزه آخرون في عشرات منها. وصعد من عبد مهان وذليل في سوق النخاسة إلى سيد لمصر والمشرق.

ولكن، اسأل أيَّ عربي فإنه سيردد إذا كان أصلاً قد سمع بالاسم فقط ما قاله المتنبي ذامًا على نحو عنصري.

لكن المتنبي وضعٌ خاص وفريد في تاريخ الأدب فهو لم يتقشـــف إطلاقًا عن مديح ذاته حتى في حضرة السلاطين:

عش عزيزًا أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

فاطلب العز في لظى ودع الذل ولو كان في جنان الخلود

لا بقومي شُرِّفتُ بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجدودي

إن أكن معجبًا فعجب عجيب لم يجد فوق نفسه من مزيد

أنا ترب الندى ورب القوافي وسمام العدا وغيظ الحسود

أنـا فـي أمة تداركها الله غريبٌ كصالح في ثمود

ويقال أن البيت الأخير الذي فُهم خطأً هو سبب تسميته بالمتنبي.

ولا أظن أن شاعرًا واحدًا في تاريخ العرب بالغ في مديح نفسه أكثر من المتنبي:

ما نال أهل الجاهلية كلهم شعري ولا سمعت بسحري بابلُ

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كاملُ

وقال أيضًا عن نفسه في قصيدة جميلة وشهيرة لمدح سيف الدولة الحمداني مطلعها

ما لي أكتم حبا قد برى جسدي وتدعي حب سيف الدولـة الأمم

إلى أن يقول:

سيعلم الجمعُ ممن ضم مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدم

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهرُ الخلق جراها ويختصم

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ويقال إن سيف الدولة ضحك قائلاً: وما الذي تركته لي بعد كل هذا؟

ومن الشعراء المنافقين الشاعر أبو العتاهية الذي امتدح الخليفة العباسي المهدي منشدًا:

أتته الخلافة منقادة إليه تجرجر أذيالها

فلم تك تصلح إلا لَه ولم يكُ يصلح إلا لَهَا

ولو رامها أحدٌ غيره لزلزلت الأرض زلزالها

ولو لم تطعه بنات القلوب لما قبل الله أعمالها

وهذا الشـــاعر ابن هاني الأندلســـي يتفوق عليه ويتجاوز الحد في مدح المعز لدين الله الفاطمي حيث أنشده:

ما شئت إلا ما شاءت الأقدارُ فاحكم فأنت الواحد القهار

وكأنما أنت النبي محمّد وكأنما أنصارك الأنصارُ

فكيف خليفة كهذا أن يصدق أنه إنسان عادي؟

وهذا وريثه بالنفاق شفيق الكمالي يُشـبه صدام حسـين مباشرة بالله- لكيلا يزايد عليه أحد!!! وللتذكير فقط شفيق الكمالي كان بعثيًا متطرفًا وصديقًا لصـــدام ووزيرًا وسفيرًا سابقًا.

تبارك وجهُك القدسي فينا كوجه الله ينضح بالجلال

وها هو يمدحه بما يعجب هؤلاء صـــغار النفوس كما بينا أعلاه... الفحولة... شـــغلهم الشاغل... فهم لا يزالون بمرتبة فحل أو تيس لا أكثر:

يا فحل هادرة الجموع

صفحات مجدك أثبتت عنوانها

تبقى... ويذهب بائسًا من خانها

إلى أن يقول له محرضا نمامًا:

صدام إني أستعيذك

مرة أخرى.. وتنفث مهجتي أشجانها

أن تمنح الأفعى الأمانَ وها ترى

إن الأفاعي تستغل أمانها

وكان صدام يصـفي خصـومه في الحزب.... ولم تمر الأيام حتى غضـب صدام على شفيق الكمالي فقتله وقتل ابنه "يعرب" أشنع قتلة.

وسواء كان اسم المداح معروفًا كشفيق الكمالي أو حميد السيد أو عبد الرزاق عبد الواحد ويوسف الصـــايغ، أم مغمورًا كجميل شلش، ساجدة الموسوي أو حميدة نعنع أو آمال جبوري فكل هؤلاء الأقزام والمدافعين عنهم يتلمســـون خلاصهم بمقارنتهم بالمتنبي الشـــاعر الكبير وضيع النفس الذي لم يترك حاكمًا إلا ومدحه... ويدعون أن هذا من صـــميم التراث العربي. "طز على هيك تراث"، قال لي جاري العربجي سـليم عندما رويت له أن المجعجع (انظر فعل جعجع) صـــابر فلحوط، هذا الغبي، يدعي أنه يحمي تراث الأجداد عندما ينبطح أمام البعث وأن البعث الذي استعبدنا هو طريقنا إلى الحرية، وأن نهبه للبلاد هو طريقنا إلى الاشـتراكية، وأن طائفيته وضـيق أفقه وتخريبه للجار والدار مبادرة طريقنا إلى الوحدة. وبعضـــهم مثل عبد الرزاق عبد الواحد لا يعرف الخجل فهو يمدح الملك العراقي ويمدح عبد الكريم قاسم ثم ولأن عمره طويل يمدح أحمد حســن البكر وصدام حســين ومن بعده أمراء الخليج. وهو بنظري مجرم حرب يجوز تقديمه لمحاكمة، لأنه شجع صدام حسين ليلاً نهارًا على مهاجمة إيران. هذه الحرب التي خططت لها المخابرات الأمريكية لتحجّم إيران وتحِدّ من نفوذها في الخليج والتي دمرت البلدين اقتصاديا (بكلفة ٤٠٠ مليار دولار... وليتصـور أحدُنا كمية المدنية والرخاء بما فيها المدارس والمستشـفيات والطعام والدواء الكافيين بمثل هذا المبلغ الهائل)، وبشـريًا بعد أن دامت ثمان سنوات وسقط فيها على الجانبين أكثر من مليون قتيل من الشباب.

هناك عدة دراسات ومقالات مهمة عن تواطؤ الشـــعراء مع الطاغية وعن نفاقهم الذي دفعنا لكتابة هذا الإعراب أصلاً...

منها نقد ممتاز بقلم د. أحمد أبو مطر بعنوان: صناعة الطاغية غنائيًا نشـــرت في عدة صفحات منها "مصرنا":

http://www.ouregypt.us/Bmatter/a.matter41.html

وللكاتب نفسه نقْد هام نشرته إيلاف تحت عنوان: "القائد الضرورة عاريًا، وكتاب عرب أكثر عريا" وهذا رابطه لمن يرغب:

http://www.elaph.com/ElaphWeb/ElaphWriter/2005/6/66577.htm

والكاتب أحمد أبو مطر هو كاتب وناقد فلسطيني يعيش في أوسلو (النروج).

كما وأن مقال الكاتب السـوري ماهر شرف الدين حول شعراء بلاط الأسد ومنافقيه يعد من أجمل ما قرأت.

http://www.alghawoon.com/mag/art.php?id=1154

وهذه موجة من ذاك البحر الساخر:

(أما مانع سعيد العتيبة فقد حوَّله إلى وليٍّ يُزار قبره: «أسد العُرْب عدتَ حيًا وهذا/ ليس قبرًا بل إن هذا مزارُ»!...

أما كوثر شاهين فقد راحت تُطالب الأبجدية بمليار حرف (وليس أقل!) كي تستطيع إيفاء الأسد الراحل حقّه: «ماذا أقول وهل يُرثى بقافيةٍ/ مَنْ ليس يُنصـفه شعرٌ ولا نثرُ/ يا ليث يعرب ليت الأبجد الهوَّرْ/ مليار حرفٍ عسى يُجدي بها الشعرُ»!

ولأن الشاعر اللبناني المعروف جوزيف حرب لا يريد أن يكون رثاؤه كرثاء هؤلاء، قام

بتكليف خالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبي وهشـــــام بن عبد الملك بالجلوس معًا والتعاون في صنع إكليل يضعونه فوق رأس الأسد: «أبطالٌ أمّتك الماضون ما انطفؤوا/ أهدوك إكليلَ شمس عندما أفلوا/ ذا خالد ذا صلاح الدين ذا يزن/ وذا هشـــــام وتيك الأعصر الأوَل

وفي هذه الحومة من الدَجَل، لا ينسى هؤلاء التبشير بالأسد الابن، فهذا أحمد محمد يُقرِّر باسم الشعب: «بشار بايعناك بيعة حافظ/ وجميعنا أعطى القرار وبيصمُ/ فامض بنا ما شئت حيث تقودُنا/ ولأنت أعدلُ مَن يسودُ ويحكُم»!...

لكن الأغرب من ذلك كُله، أتى على لسان الشاعر الراحل محسن محمد الجراح، حيث قام بالتغزُّل (حرفيًا) بوجه الرئيس كما يتغزّل شاعر بوجه المحبوب: «عشقتُ وجهَكَ يا بشارُ فلسفةً/ والعشقُ كالجمر يشكو حرقةَ اللهب»!!)

وشعراء العربية وكتابها الكبار من عبد الوهاب البياتي إلى الجواهري وسميح القاسم ونزار قباني مدحوا الطغاة. فنزار الذي طوشنا بنقده لحكام الخليج غنى لصـــدام وأسبغ عليه الصفات الإلهية قائلاً: "لقد جئتُ إلى بغداد مكسورًا، فإذا بصدام يلصق أجزائي! وجئت كافرًا بممارسات العرب وإذا بصدام يردّ إليّ إيماني ويشدّ أعصابي.... وهكذا أعود من بغداد وأنا ممتلئ بالشمس والعافية... فشكرًا لصدام الذي قطّر في عيني اللون الأخضر". ويعلق الناقد الذكي أحمد أبو مطر على هذا السخف قائلاً: "ربما كان نزار قباني يقصد الذي قطّر الدولارَ الأخضرَ في جيوبي".

وما إن شعر نزار القباني بانتهاء عهد المرح والسكر والعربدة في بغداد حتى انقلب على سيده قائلا: "مضحكة مبكية معركة الخليج/ فلا النصال انكسرت على النصال/ ولا الرجال نازلوا الرجال/ ولا رأينا مرة أسوار بانيبال/ فكل ما تبقى لمتحف التاريخ/ أهرام من النعال"

لذلك كرمه نظام الأسد وعفا عن شتائمه له إبان ارتزاقه عند صدام. هذا العفو الذي يبدو من السـطح قد ننتج عن رحابة صدر، إنما هو أفضـل انتقام لطاغية ذكي ممن هجوه سابقًا...

وكان يغازل الأسد برسائل ويمدحه بأسلوب- فعلاً- مخجل. وفي إحدى الرسائل يكتب نزار: إن الرئيس حافظ الأسد هو صديق الشـــجرة والغيمة وسنبلة القمح والحقول والأطفال والغابات، والجداول والعصافير والشعراء وفيروز وعاصي الرحباني. ولو أنّ عصفورًا واحدًا سقط أو غمامة واحدة بكت أو سنبلة قمح واحدة انكسرت لحمل إليها حافظ الأسد وعاء المهل ووقف فوق رأسها حتى تشفى"!

لن أزيد الشرح بطابور الشعراء المغمورين ولا المطربين عديمي الأخلاق..

كان الكاتب الجزائري الطاهر وطار من الأقلية النادرة التي رفضـــت دعوة النظام الصدامي لزيارة العراق لأنه نظام قمعي. ويصعب لضيق المكان هنا ذكر قائمة الكتاب المرتزقة الذين تنافسـوا في "المربد" و"بابل" صدام. والقائمة أطول للكتاب الذين تمسحوا بين فخذي القذافي. والشيء العجيب الغريب حقًا أن بعض هؤلاء من الشهيرين والموسـرين، فلماذا إذن هذا الذل اللامتناهي أمام الطاغية؟ ويكذب كل هؤلاء وأولهم حامل الميدالية الذهبية للنفاق جمال الغيطاني الذي تمسح بنظامي بغداد ودمشق حراس بوابته الشرقية. وكم تأسفت أن ينحدر النقد تجاه هكذا انتهازي إلى مستوى حوار غبي إن كان هو من كتب "زبيبة والملك" أم لا؟ هذا ليس نقد لمثل هذه الشخصية عديمة الأخلاق إنما تحويل للنظر عن إثم كبير لإثم صغير جدًا... لا يهمني إطلاقا من كَتبَ هذا السخف الأدبي ولا بمقدار زبيبة. ما يهمني هو كيف كان هؤلاء يسكرون ويعربدون في دمشق وبغداد وطرابلس الغرب وحتى صنعاء وزملاء وزميلات لهم أبرياء يعذبون بوحشية القرون ما قبل التاريخية؟ وأكرر هنا ما كتبته مرارًا: السكوت عن جرائم نظام مديح له. هذه هي التهمة الأكبر. وفي هذا المجال يتساوى سعدي يوسف مع أدونيس وأحمد عبد المعطي حجازي وفؤاد مطر وحتى محمود درويش الذي قال عنه أدونيس في الجزء الرابع من حديثه مع عبده وازن: "فشعره، على هذا المستوى، كمثل حياته العامة شعر مصالحة. لم يُصارع في حياته أي نوع من أنواع الطغيان الذي تحفل به الحياة العربية، بل كان صديقًا لجميع الأنظمة، بدءًا من نظام صدام حسين. وكثيرٌ منها كان يستقبله بوصفه رمزًا شعريًا وطنيًا، وكان يتقبّل أوسمتها." (الحياة ٢٣/٣/٢٠١٠) هذا صحيح لكنه يسري على أغلب الشعراء وأولهم أدونيس.

لكن ما قام به الغيطاني أكثر إجرامًا، فهو شجع ،كصديقه الشاعر الانتهازي عبد الرزاق عبد الواحد صدام حسين وعصابته بشن الحرب الدموية ضد إيران والتي دمرت خيرات العراق كما ذكرت أعلاه. كتابه "حراس البوابة الشرقية" من أحقر ما وقعت عيناي عليه كمادة لكتاب وأسلوب رخيص الإثارة، لذلك سارع قتلةٌ بغداد بطبعه عام ١٩٧٥ وهو تحريض على حرب إجرامية وانا أعجب كل العجب ألا يقاضيه أهالي الجنود الأبرياء الذين سحقتهم هذه الحرب. وكان الغيطاني مرتزقًا في إدارة التوجيه المعنوي العراقية ويقيم في فندق بغداد، يأكل ويتبذخ على حساب الشعب العراقي المظلوم ويكتب ويدبج المقالات عن فرسان القادسية وبطلها التاريخي صدام حسين وتمتلئ أوداجه البشعة فخرًا بصداقاته مع القتلة ولأن صدام تبنى تسمية جيشه بـ"حراس البوابة الشرقية".

هذا الكاتب صديق وزير دفاع صدام حسين وضيف صدام والأسد، شارك بالجريمة كتابيًا ومثل تلك الجريمة أدت بكتابها إلى السجون في بلدان يحكم فيها قضاء نزيه... والشيء المثير ليس للضحك بل للغثيان أن يدعي الغيطاني أنه كان من أوائل ثوار ٢٥ يناير في مصـــر.... وقد كتب الشـــاعر المصـــري حمزة قناوي (اليوم السابع ٢٣/٩/٢٠١١) : "فوجئت كغيري من المثقفين المصريين والعرب بتصريح للروائي جمال الغيطاني في مهرجان أصيلة بالمغرب الذي أتم فعالياته مؤخرًا لدورته الثالثة والثلاثين، يقول فيه في إحدى الندوات إنه هو وجيله من بشروا وقادوا ثورة ٢٥ يناير بمصر !

كان أول رد فعل قام به الحاضـرون للندوة أن غادر معظمهم القاعة استياءً مما قاله الغيطاني، واستنكارًا لتزييف الحقائق والتاريخ الذي حاول أن يروّج له.)

والغيطاني يقف اليوم وبكل رجعية قومجية مع النظام السوري شاتمًا ثورة الشعب ناعتًا هؤلاء الشهداء الذين سقطوا في سبيل الحرية والكرامة بأشنع مفردات الطاغية...

يقول مثل حكيم: من عاشر القوم أربعين يومًا صار منهم وفيهم... والغيطاني يعاشر الطغاة ليس منذ أربعين يومًا بل منذ أربعين سنة... وأنا متأكد من أنه سيكتب يومًا أنه كان، ومنذ أول يوم، مع الثورة السورية!..

والغيطاني كان وسيكون حتى في ذلك الكذب مقلدًا وليس مبتكرًا... سبقته إليه تنبلة السلاطين ميرال الطهاوي التي تمرغت في خيمة القذافي لتخرج بعد سقوطه للملأ بشتائم ونقد لجثته.. مثلها مثل جابر عصفور... أليس من المضحك والعجيب أن يطير مرتزقة القلم من كل أصقاع الأرض إلى ليبيا يفترسون هناك الأخضر واليابس ويملؤون جيوبهم من مال الشعب المسروق ليقيموا ندوات ويناقشوا إبداع معمر القذافي الأدبي وهو الذي لم يحسن كتابة جملة واحدة أدبية. قرأت مداخلات السورية كوليت خوري التي تساقطت إلى درك من الابتذال يعجز قلمي عن وصفه. ورافقها في نعيق مديحها الكاتب والكاذب الفلسطيني زاهر حنني مطبلاً أن القذافي غاص في أعماقه واستخرج منه كل ما يختزنه من شعور ولا شعور (هذا كلامه... يا سلام). وبعده أتى جيش من المطبلين والمزمرين لينفخوا القذافي وليؤكدوا له بصورة وقحة أن كل ما قام به من قتل وتدمير للشعب الليبي كان ثمرة فكره العبقري. توقفت عن القراءة لقرفي... وطرح السؤال نفسه:

من هو الأغبى المادح أو الممدوح؟

البطل المغوار
سليمان هلال الأسد

أخبار وتحليلات كشملكية

حينما عَلِمَ الفتى الشجاع "سليمان بن هلال الأسد" بخبر استشهاد والده على يد إرهابيي الجيش الحر في جبهة كسَب، لم يتمالك نفسه، وعمد، بشجاعة منقطعة النظير، إلى إطلاق النار على المارة في أحد شوارع اللاذقية، أو "لاذقية العرب"، كما كان المذيع الرياضي المناضل إياد ناصر يقول.

لا شك في أن بعض الناس المشبوهين، المُغرضين، المشككين بأهمية الصمود والتصدي والممانعة، سيقولون إن هذا العمل عدواني، وإرهابي، وحقير، لأنه يؤدي- حتمًا- إلى قتل أو جرح أناس أبرياء.. ولكن هؤلاء، أنفسهم، يعرفون أن المسألة ليست بهذه البساطة، وأن الإنسان الطبيعي يفقد أعصابه ويخرج عن طوره لو علم أن شوكة صغيرة دخلت في إصبع والده، فكيف إذا قيل له إن والده استشهد؟! وكيف إذا كان والده إنسانًا عظيمًا، وزعيمًا شعبيًا محبوبًا كهلال الأسد؟!

لقد كان الرفيق هلال- كما كتبَ صديقي أبو الشمقمق- رجلاً عَلمانيًا بامتياز، فحينما كان يعتدي على أحد الناس، ويسلبه أملاكه، لم يكن يهمه أن يعرف شيئًا عن ديانة هذا الإنسان، مسلم، مسيحي، يهودي، من أتباع بوذا، لا يهم.. وكان، حينما، يسرق أموال الجمارك يعرف أنه مالُ شعبٍ يتكون من إثنيات كثيرة! وإذا استحلى امرأة وطلع برأسه أن يغتصبها لم يكن يبالي بقوميتها، عربية، كردية، أرمنية، شركسية، مسيحية أو مسلمة سنية، سمعولية، درزية، حتى ولو كانت علوية، الرجل ما عنده مشكلة!

ثم، يا سادة، يا كرام، يا فهمانين، من قال لكم إن كل المارة الذين أطلق عليهم النار أناس أو ادم وأولاد حلال؟ طيب لنفرض أن نسبة الإرهابيين في المجتمع السوري هي عشرون بالمئة، ولنفرض أنه قتل، في عملية الرش العشوائية عشرة مواطنين، ألا يعني هذا أنه قتل إرهابيين اثنين مع ثمانية أبرياء؟! وهل هناك مشكلة إذا ضحى ثمانية أبرياء بأنفسهم في سبيل التخلص من إرهابيين خطيرين لينعم الباقون من أهل البلد بالأمان والاطمئنان؟!

نبيح نموذجي

الشي الظريف الذي يميز نبيحة النظام عن غيرهم من النبيحة هو أن أي واحد منهم حينما يُسأل عن شيء ما فإنه يعطي الجواب نفسه، حتى الفروق اللفظية بين النبيحة تكاد تكون معدومة.

مثلاً، يوم ١٩/٣/٢٠١٤، وجهت قناة (بي بي سي) سؤالاً إلى النبيح علي قاسم رئيس تحرير صحيفة الثورة عن موضوع القصف الإسرائيلي للمواقع السورية في الجولان.. فكان جوابه، لو شلته ووضعتَ كلامَ أيّ نبيح مكانه لكان متطابقًا معه، وهو التالي:

إن أمريكا قد استخدمت معظم أوراقها في دعم الإرهابيين في سوريا، بقصد محاربة نظام الممانعة السوري، وبقي لديها أوراق قليلة، منها الورقة الإسرائيلية، وليس من المستغرب أن تستخدمها بعدما انحرقت الأوراق الأخرى وانتحار الإرهابيين في يبرود.. ولكن أمريكا، في المحصلة.. ح تندم.

ح تندم يا جميل.

طريقة جديدة للدفاع عن النظام: اكتشف الشاعر السوري صقر عليشي طريقة خفيفة ونظيفة و«بنت ناس» يستطيعُ المرءُ بموجبها أن يؤيد النظام، دون أن يبدو عليه أنه «منحبكجي» أو «منركعجي»، أو «منلحسجي».. بعيد عنكم.

تتلخص الطريقة في أن يختار الرجلُ أفضل الشخصيات المعارضة للنظام، وأكثرها فاعلية وتأثيرًا في الناس، (كالدكتور صادق جلال العظم والأستاذ ياسين الحاج صالح.. مثلاً) ثم يهاجم هذه الشخصيات، زاعمًا أنه لا يهاجمها بسبب معاداتها للنظام، وإنما من أجل أشياء أخرى.

ولأن صقر عليشي شخص غير موثوق، وتتردد عليه أقاويل كثيرة تتلخص في كونه احتال على الكثيرين من أصدقائه الشيوعيين من خلال دار الينابيع، بملايين الليرات السورية، فإن بعض الشخصيات المساعدة يمكن أن تتدخل لدعم وجهة نظره من أمثال عبد الكريم الناعم ونبيل صالح ونضال الماغوط وغيرهم، ويكون الدعم بوضع اللايكات وتقديم تعليقات غريبة، كتعليق النبيح نبيل صالح الذي وصف المعارضة السورية بأنها «سلجوقية!»!

أفواه المجانين

حكم ومفهوميات..

أفواه المجانين

صلاح شعار: فيفي عبدو الأم المثالية. حافيظ الأسد الأب الخالد. دريد لحام تاريخ سوريا. النظام السوري قَلبُ العروبة النابض وقلعة الصمود والتصدي. هيفاء وهبي صار عندها دار نَشر. زهران علوش خليفة المسلمين. أنشتاين شيعي.

أنا أشو بقى؟! أي العين تطرقني طرق... قولوا آمين!

كش ملك: ما فهمنا يا شباب.. اللي عم يصير في البلد (قطع) رؤوس؟ ولا (تكسير) رؤوس؟

محمد نزار: سوريا دولة المؤسسات: المؤسسة العامة لفرع فلسطين. المؤسسة العامة للمخابرات الجوية. المؤسسة العامة للمخابرات العسكرية. المؤسسة العامة للأمن الجنائي. المؤسسة العامة للأمن السياسي. المؤسسة العامة لمخابرات القصر الجمهوري. المؤسسة العامة لأمن حزب البعث. المؤسسة العامة لمكافحة الإرهاب. المؤسسة العامة للهجانة. المؤسسة العامة للدفاع الوطني واللجان الشعبية. المؤسسة العامة للحواجز الأمنية. وأخيرًا المؤسسة العامة للفضاء الأمني.

وافي بيرم: خبر عاجل: قواتنا (المسلحة) تقضي على الجماعات (المسلحة)!

ماهر حميد: أبو عيسى تراجع عن فكرة أن يكون خليفة للمسلمين.

أبو عيسى تراجع عن فكرة أن يكون خليفة للمسلمين.

تعقيب "كش ملك": أي شو الشغلة بكيفو؟ نحن بايعنا أبو عيسى، ولا نرضى عنه بديلًا. تفو فَسْطٌ وجُو.

كش ملك: ردًا على فتوى الشيخ فوزان بتحريم البوفيه المفتوح.. نحن نحلل البوفيه المفتوح ونعتبر طعامها نوعًا من (الغنائم الحربية)!

كش ملك: سبق لـ كش ملك أن رشحت السيد الأهبل صفيرة لرئاسة الجمهورية العربية السورية، والآن النظام السوري يقترح ترشيح الشيخ معاذ الخطيب في مواجهة الدكتور بشار الأسد. على هذا أبشر- أيها الفنان علي فرزات- بالسقوط المريع لمرشحك زعيطو الخلف.

مع التيار ضد التيار

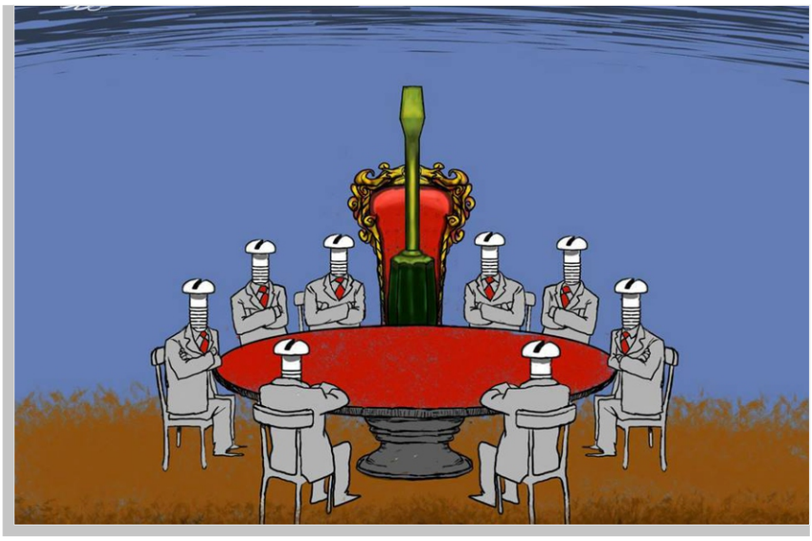

قصص ديكتاتورية ونص

باهر أبو راية

القصة الأولى: الزعيم في المرايا

في هذه البلاد ثمة شيءٌ غريب يحدث منذ عقود, حتى صار بالنسبة لسكانها مع توالي الأجيال شيئًا اعتياديًا.

زعيم البلاد موجود في كل المرايا المنزلية الكبيرة والمتوسطة, وأيضًا في المرايا الصغيرة داخل الحقائب.

كلما مشط أحدهم شعره أمام مرآته, يشاهد فيها الزعيم يمشط شعره وبذات لتسريحة.

آخر يحلق ذقنه فيرى في المرآة الزعيم يحلق ذقنه.

رجلٌ ما يعقد ربطة عنقه, الزعيم كذلك وفي نفس المرآة يعقد ربطة عنقه. زوجة تلون وجهها بألوان مكياجها, الزعيم في مرآتها يلون وجهه بألوان مكياجها.

مراهقة، وبطيش أنثوي، تشد فستانها على جسدها, وتستدير حتى تتأكد من أنها مغرية, ثم تتأمل أرداف الزعيم على زجاج مرآتها.

مرة.. ذبابة كانت تحلق أمام المرآة بسعادة. لمحت الزعيم يُحلّق أمامها بسعادة أيضًا.

في شتاءٍ قديم, أراد أحد المخمورين أن يقتل الزعيم, وقف أمام مرآته وهو يترنح ثم أطلق النار على رأسه ليسقط ميتًا. الزعيم، في ذات المرآة، أطلق النار على رأسه وسقط منها ميتًا.. لكنه ظلّ حيًّا في بقية مرايا البلاد. هذه الليلة وإثر وعكة صحية غامضة, تحشرج الزعيم قليلاً في سريره ثم مات.

انتشر خبر موته، بطريقة الوشوشة، في كل البلاد. لم يصدق الناس الخبر, فتسللوا بحذر إلى المرايا في بيوتهم ليتأملوا وجوههم وهم يشهقون مندهشين.

بعضهم مسح بكفه زجاج مرآته غير مصدق, وبعضهم الآخر مسح بكفه على وجهه غير مصدق.

سرعان ما ابتسموا.. نظروا طويلاً في المرايا وهم يكتشفون بفرح للمرة الأولى ملامح وجوههم. ملامح وجوههم التي حرموا منها لعقودٍ مريرة.

القصة الثانية: قبعة الاختفاء

عندما كنا مراهقين, سحرتْ خيالَنا الطائش وأدمتْ مشاعرَنا الهوجاء فكرةُ (قبعة الاختفاء).. وكم تمنينا الحصول عليها, لنرتديها ونتسلل- على هيئة كائن لا مرئي- إلى غرفة بنت الجيران ليلاً, في شغبٍ حلو, لنتأمل عن قرب أسرارها المدهشة.

الآن, وبعد أن كبرنا.. ما زلنا نحلم بـ(قبعة الاختفاء) فقط لنعبر بأمان, ذلك الحاجز العسكري الحقير!!

القصة الثالثة: الذئب وليلى

بعد أن جلس الذئب على هذا الكرسي الشبيه بسرير ضيق، وفتح فمه بخجل, انحنى عليه الطبيب وتأمّل التسوس الداكن الذي ينخر معظم أسنانه.. زفر ثم سأله:

-كم "ليلى" تأكل في اليوم؟..

أجابه الذئب بحزن وهو يتألم بصمت: نصف "ليلى" فقط..

لم يصدقه الطبيب, فبحسب خبرته.. لا يمكن لنصف "ليلى" يوميًّا أن تسبب كلّ هذا التسوس!

مع هذا, شرع بمعالجة أسنان هذا الذئب بسرعة, لأنّ غرفة الانتظار في عيادته السِّنّية, كانت مليئة بالذئاب الذين يضعون أكفهم على خدودهم.. ويتألمون بصمت..

القصة الرابعة: الزمن بعد انقراض الكهرباء

-جابر دمه ثقيل جدًا, زيارته اليوم لي استغرقت شمعة ونصفًا, عكس اللطيف مهند الذي لم تتجاوز زيارته لي البارحة أكثر من نصف شمعة.

-أخي شره جدًا.. كلنا نشبع خلال ربع شمعة, بينما هو يظل يأكل لثلاثة أرباع الشمعة.

-أوصتني جدتي: أيقظني بعد شمعتين لأصلي صلاة الفجر.

-تنهدت جارتنا وهي تقول لأمي على الهاتف: زوجي خرج منذ أربع شمعات ولم يعد حتى الآن.

-على الحاجز صفعه العسكري بعد أن فتشه فعثر في جيبه على شمعة, اتهمه بمحاولة تهريب الضوء.. ولم يطلق سراحه حتى أجبره على الهتاف بحياة العتمة.

-اشتقت لوجهكِ فرفعت بيدي الشمعة لأتأمل صورتكِ التي علقتها في إطار جميل على جدار غرفتي.. لم أشاهد وجهك على زجاج صورتك وإنما شاهدت شمعة أخرى. عندئذٍ استنتجت أن الشمعة التي في يدي, هي انعكاس وهمي للشمعة الحقيقية الموجودة في صورتك.

يا شذا... روحي على شغلك

شذى بركات

كانت الدوائر الحكومية وغير الحكومية معطلة في ذلك اليوم العظيم. وأما مدارس أبناء الشهداء فهي من برّا رخام ومن جوّا سخام..

حملت طفلي ذا العامين، فالروضة معطّلة، ولا بد أن آخذه معي إلى الشـــــغل. لا أعرف كيف سأتدبر أمره داخل الصـــف. هو لطيف ويألف الآخرين، وأظنه سيبقى ساكتًا ريثما أنهي دروسي.

عبر طرقات دمشق، وما كان يعرف بالغوطة الشرقية، وكانت العلائم التي أعرفها قد اختفت بقدرة قادر!

المهم.. يوم الاستفتاء العظيم، عبرت بنا الحافلة ساحة الشـــيخ رسلان حيث دفنت خولة بنت الأزور شهيدة على أسوار دمشـق، وإلى يســار الطريق بأمتار قليلة قبرُ أخيها ضرار بن الأزور الذي استشهد على أبواب دمشق.

السور صامت، والقبور صامتة، والشارع يكاد أن يفرغ من المارة، إن الحدث جلل..

ثم ما لبثنا أن عبرنا "باب شرقي" حيث تدّلى بطرس حواريّ عيسى عليه السلام من نافذة البرج وهرب من جحيم الســجن والكفر والجنون.. عبرنا ساحة المطار التي اسمها ساحة حسن الخرّاط.

كلّ ما حولي ينطق، لكن الناس صـــامتون، تنظر في عيونهم في صـــبيحة هذا اليوم فتجد أنها تعبر إليك من فراغ بعيد.. أياد خشـنة معقودة في الحجور.. ونظرات تائهة تحدّق في الفراغ.

أظنّها نسيت الكلام...

لكن الصخب يصل إلى مسامعنا عبر ذلك النسيم البارد الصباحي، وكلما اقتربنا من المدرسة ازداد الضجيج ارتفاعًا. عبرت الشارع مسرعة وأنا أحمل طفلي، أكاد أرى الطبل والدبيكة "وما أكثرهم"!!..

ينظر إليّ طفلي بعينيه الجميلتين مستغربًا، بل متسائلاً، ويلتفت إلى مصدر الموسيقا الهادرة، إنها باحة مدارس أبناء الشهداء. السور الحديدي يكشف ما بداخله.. حلقة دبكة من العاملين والعاملات في المدارس، يتوسطهم رجل قصير أصلع يسند الطبل على كرشه الضخم.. ويضرب بقوة وهو يتمايل على أنغام طبله، كم تمنيت لو أملك كاميرا تصور ذلك المشهد الخرافي: "سوريا بلدنا، حافظ يا أسدنا"!

"سوريا بلدنا، أبو باسل قايدنا"

ضحكت في نفســي، كيف يحمل الطبل على كرشه الكروي ويقرعه ولا يصـــيب كرشه؟؟ حقًا، إنه حاذق.

تســمرت قدماي عندما لمحتُ رئيس الهيئة "اللواء محمد الرفاعي غنيم"، ذا الهيبة المنقطعة النظير، يترأس حلقة الدبكة ويلوّح بسبحته في الهواء فرحًا.. بينما يمسك بذراعه مديرُ الثانوية "أسامة حيدر" بوجهه الترابي وبســمته الصـــفراء، وتليهما "رولا" وما أدراك ما رولا ضاربة الآلة الكاتبة تلتصـق بجسـد المدير النحيل، بينما تهتز بجسدها الممتلئ.. يمسك ذراعها حيدر مسؤول الوحدات السكنية، يا سلام... تناغم يجعل أعضـــاء العاملين والعاملات تهتز بتناسق وفرح ليس له مثيل... حقًا لو كنت أستطيع الخروج عن وقاري لكتبت شيئًا مطابقًا للمهزلة التي تدبك اليوم..

تابعت المشـــي بذهول وأنا أحضـــن طفلي الخائف بشـــدة، وعبرت الممر، علي أن أتجاوز أعضاءَ الهيئة التعليمية الذين سبقوني إلى الدبكة.

رجال ونســـاء، ضباط وصف ضباط وعســـاكر... وموظفون وموظفات يصـــفقون ويضحكون..

علـــى فكـــرة، من أعاجيب هذه المدارس أن عدد الطلاب آنذاك ٢٦٧ طالب وطالبة موزعة على ثلاث مدارس في حلب ودمشـــق، بينما بلغ عدد العاملين على خدمتهم وسرقة أقواتهم ألفين وأربعمئة موظفًا وموظفة... فكيف لا يدبكون؟

عبرت الممر الأخير في الحديقة لأجتاز الباحة الأولى، إلى قســـم "الثانوي" حيث كنت أعمل.. كنت أخشـــى أن يســـحبني أحدُهم إلى حلقة الدبكة مع البقية، ويدقني الحماس، و... سأكون نكتة الموسم!

تنفست الصعداء حين ولجت المبنى، وصعدت مسرعة إلى الطابق الثاني، الحمد لله. رن الجرس وأنا في المدرســة. دخلتُ غرفة المدرســين مع طفلي، واســتقريت في صفي قبيل دخول الطلاب. وحين بدأ الطلاب بالدخول تعالت أصوات الدهشة وبدت السعادة على وجوههم حين رأوا طفلي الصغير يجلس على الطاولة.

– آنسة هادا ابنك؟ شو اسمو؟؟ قديش عمره؟؟

تحلّق حولي الطلاب فرحين وهم يطرحون الكثير من الأسئلة ويلمسون ابني بأيديهم ويضـحكون لرؤيته. ثم استقرّ النظام في الدرس وشرعت بإعطاء الدرس. ولكن، ما لبث أن قطع الاسترسال في الشرح دخول أحد الموجهين ليقول لي:

آنسة... يمكنك أن تذهبي للاستفتاء، وأنا سأبقى في الصف لحين عودتك.

شعرت بالارتباك الشديد للحظات. ظننت أن الأمر دبكة وهزّ كروش وأرداف فقط..

لكن الأمر بالنسبة إلي طلع أكبر. سألته:

بحسن أترك عثمان عندك في الصف؟ ترى عاقل ما بيبكي..

ازداد اتساع عينيه المحمرتين الجاحظتين اتساعًا، وهز برأسه:

عثمان؟ ما شاالله. اسمه عثمان؟

تحول لون وجهه من الوردي إلى الأصفر.

عثمان؟

وهزّ برأسه..

غادرت الصـــف مســـرعة ونزلت الدرج. هل أدخل إلى الحمام ثم أعود وأقول له اســـتفتيت؟؟ لا يمكن، لأنه علي أن أخرج خارج المبنى والجميع يراقب، وبعض المعلمين يسيرون خلفي.

الله يلعنكم. هلق صوتي الانتخابي صار بيقدم وبيأخر؟ النتيجة معروفة، تســـعا وتسعينات بالمية، مبينة. ليش في مرشّح آخر؟ طبعًا ما في. مستحيل. من بيسترجي ينافس الأب القائد الرمز الملهم الضرورة؟؟ هادا القائد إلى الأبد، شوبنا؟

وجدت قدميّ تقودانـــني خارج المبنـــى لأتجه إلـــى الحديقة الأمامية حيث الاحتفال والطبل، وما يزال المطرب الثوري يصدح بقوله:

"حافظٌ. إذا صرخ الشرف العربي بنخوته.. إعصارْ

حافظٌ... أحبّ الله والحريّة والأحرارْ

وقال إني حارسٌ، أحرسُ فجرًا عربيًا.. وأحمي نهارْ

يخرب بيتك من أين جئت بكل هذه الصفات يا منافق؟

ما شاء الله كان. ما زال الشـــباب يدبكون، والتصـــفيق والجنون.. دلفت إلى صالة الاستقبال الكبيرة التي تجلس في صدرها موظفة أمامها طاولة يجثم فوقها صندوق الاقتراع الرهيب. كان أمامي شاب وشابة، جرحا إصبعيهما بالدم، وختما على ورقة الانتخاب نعم بالدم.. نعم بالدم..

تقدمت باتجاهها واصطنعت ابتسامة. أخرجت هويتي الشخصـية من حقيبتي بيديّ المرتجفتين. عمري تجاوز الثامنة والعشرين، وهذه أول مرّة أدلي بها بصـوتي في الاستفتاء.

هذا يوم الاستفتاء العظيم.. قلت بصوت لطيف للموظفة:

أنا شذى، وهذه هويتي..

لكنها لم تسمعني لشدّة الضجيج الدابك المطبّل حولنا. فصاحت: شو قلتي؟

فصحت: أنا.. أنا شذى.. بدي أدلي بصوتي.

مين؟ شذى؟ أي روحي.. انتخبنا عنك...

كادت عيناي تدمعان وهي تقول:

شذى لا تاكلي هم. عم قلك انتخبنا عنك!

قنابل صوتية

أم أحمد..
مرشحة الكبة المشوية للرئاسة

يكتبها: الأمين بدلة

حصل أمر غريب ضمن نطاق العائلة. السيد أبو أحمد، رب العائلة، قال لزوجته، ربة العائلة، بطريقة مبطنة:

يا امرأة اليوم سيحكمنا (ذو الشنب).

شهقت السيدة أم أحمد, وولولت، وناحت، وبكت, وضربت ابَنها البكر أحمد البالغ من العمر ستة أعوام كفًا من نوع الـ خمس أصابع متباعدة.. هذا الكف تعلمته السيدة أم أحمد عندما كان (ذو القلب) هو الحاكم.. وقالت: مو معقول.

حاصت أم أحمد، وتحركت بلا هدف في أنحاء المنزل, وحاولت إجراء عدة اتصالات بالموبايل, ولكن جميع محاولاتها باءت بالفشل.

هدأت. سحبت نفسًا عميقًا مليئًا بالغبار الذي انتفض عن وجه ابنها أحمد أثناء ضربه بالكف, وقالت لزوجها:

هات، قل لأشوف، كيف عرفت أن "أبو الشنب" بدو يحكمنا؟

في الواقع.. أبو أحمد لم يرد على سؤال زوجته بالكلام, واكتفى بالإشارة إلى الروزمانة المعلقة على الحائط.

التاريخ؟ قالت. أه. التاريخ.

كيف فاتها أن تحسب التاريخ؟ وهي بطبعها تهتم بالتواريخ. فبالنسبة لها موضوع معرفة متى سيتم تسليم الحكم في البلد سهل, ربما لأنها- بذكائها الحاد- ربطت مواعيد استلام الحكام الحكم بمواعيد خاصة بها!! فهي لا تريد أن تخربط في الحساب فتحبل بولد خامس, وبالأخص في هذه الأوضاع الاستثنائية القائمة في البلد.

لا داعي للاستغراب من كيفية إدارة هذا البلد. (قالت لنفسها) وبكل بساطة: لكل مواطن الحق بأن يحكم البلد, بقوة ما يريد: السلاح, العائلة، القبيلة, العشيرة، الطائفة، المذهب، العرق. وأذكر جيدًا أن أحدهم فاز بحكم البلد لمدة شهر لأنه يملك (كشة) من طيور الحمام لا يملكُ مثلها أحدٌ.

كل حاكم يحكم بالطريقة التي يفضلها. يعني ما في شي محدد. فمثلاً عندما جاء الدور على الحميماتي حَكَمَ البلد على طريقة (بعُرُض أختك)! هذه الطريقة تعتمد على الحلفان والأيمان المغلظة، والطلاقات في فض المنازعات. ولكن الحلفان الذي لا تجوز مناقشته أو التشكيك بمصداقيته هو: بعرض أختي!

ذو القلب, يحكم بطريقة استراتيجية تعتمد على التهكم بالأيدي, أي أنه يشبه السياسي اللبناني (وئام وهاب) عندما ضرب صديقَه كفًا على رقبته, وأتبع الكف بضحكة. ذو القلب, يضرب ولكنه لا يضرب بالكف، بل بالرشاش الثقيل, ومن دون ضحك.

قبل خمسة أيام دار استعراض في الساحة العامة, بين ثلاثة مرشحين للحكم. الأول هو الملقب "ما بدي حدا" وقد لُقّب بِهذا الاسم لأنه لا يعتمد على أحد في حكمه, لا يوجد له معاونون, ولا سكرتير، ولا مدير مكتب, ولا حتى سائق.. اعتمد "ما بدي حدا" في برنامجه الانتخابي على وسامته, فهو فتان وجذاب, وبنظرة واحدةٌ يسقط البنات طريحات الغرام. وحلمه أن يبقي على كل صبايا البلد في كنفه خلال الشهر الذي سيحكم فيه البلد.

وكان في نزال "ما بدي حدا" على الحكم, الشاب "خيرو". يحلم خيرو بأن يرى هذا البلد مزدهرًا, فيه كل مكونات الحضارة من حريات وتقنيات واستراتيجيات اقتصادية وحربية وإلى ما هنالك, وكان أيضًا له رغبة بأن يفتح مركزًا ثقافيًا, ليجلس فيه عند انتهاء حكمه للبلد, يطالع الكتب, ويحضر ندوات وأمسيات للكاتب العظماء.

للأسف، الاثنان السابقان لم تحالفهما الحظوظ لأن المرشح "ذو الشنب", استطاع أن يربط شنبه بشعر إبطه, ففاز في الحكم, بقرار أممي, متفق عليه.

استلت أم أحمد ورقة وقلم وكتبت:

سيادة رئيس الأمم المتحدة, بعد التحية والسلام, أرجو أخذ العلم بأنني أستطيع صنع كبة (مشوية- ومقلية) بطريقة حلبية ودمشقية، ببرغل أو بدون برغل. لذا أرجو النظر في وضعي, وقبول ترشيحي لقيادة البلد في الشهر القادم، أي بعد سيادة الحاكم المفدى ذو الشنب.

وشكرًا.

سيرة البيادق

لن يسقط الجحش الأسد

وائل زيدان

قبل الثورة, بعيدًا عن المحاولات الفردية الساعية لفضح نظام الحكم في سورية, وحرص ذلك النظام على إسكاتها وطمسها وإخفائها عن الأعين، كانت تلك الفضائح تنوجد وتتشكل على مدار الساعة بتلقائية وعفوية, بل وتأخذ لونًا فاقعًا من ألوان الكوميديا السوداء.

فضائح لم ينتبه لها النظام، ولا الناس، رغم أنهم كانوا يصنعونها كل يوم, الأمر الذي كان يعزّز لديّ تلك القناعة الراسخة بأنه ما من جريمة كاملة على سطح الأرض.

في مدينة "السَّلمية" مثلاً, وعلى طول الحائط المُطل على الطريق الرئيسي (طريق حماه), كَتَبت شعبة الحزب شعارًا معروفًا من أدبياتها, وكانت كل كلمة بحجم تكسي: اليد المنتجة هي العليا في دولة البعث.

في آخر ذلك السور عمل أحدهم بسطة للسندويش بعد أن قام، بمنتهى العفوية، بطلاء جزء من الخلفية بالأبيض مغيبًا الكلمة الأخيرة من الشعار ومستبدلاً إياها باسم بسطتِهِ الجديد. لكن أحدًا لم ينتبه إلى أن الشعار الحزبي تحول على يد هذا الشاب البسيط إلى شعار جديد: "اليد المنتجة هي العليا في دولة فلافل الحديقة"!

وأذكر بعد استضافة محافظة حماه لمهرجان طلائع البعث السنوي, أصرّ عبد الكريم المعّاط عضو مجلس الشعب أن يزجّ قريته النائية /أم العمد/ في هذه الاحتفالية. فطلى الصخور ورجوم الحجارة على مداخلها بالأبيض, وكان ثمة سور طيني بارتفاع أقل من متر يطل على الشارع الرئيسي للقرية وهو بالأساس سور لإسطبل غنم. برز لي منه يومها وجه طفل يستند بكلتا يديه وهو شارد بشيء ما, فيما الذباب يحطّ على وجهه دون أن يكشّه. المفارقة كانت هي اشتراك وجه الطفل البائس مع ما هو مكتوب بعناية على سور الإسطبل في مشهد واحد. حيث وبخط الرقعة كُتِبَ: اَلعَبُوا مع الأطفال وغنّوا معهم, تعّلموا منهم وعّلموهم- القائد الخالد!.

ومرّة في الثكنة, قررنا إزالة كل الجرائد والصور الصفراء عن جدران المهجع بهدف طلائِهِ, لكن سرعان ما اكتشفنا صعوبة هذا الأمر, لأن مرور زمن طويل عليها جعل تلك الجرائد والصور جزءًا من الحيطان ولا يمكن فصلها عنه إلا بمكشط!. والصورة التي أربكتنا، دونًا عن غيرها، كانت لحافظ الأسد, فاستخدام المكشط معهُ سيشوهُه وسيدخلنا في سين وجيم. لذلك أضفينا حنائًا زائدًا أثناء كشط الأنف والعينين وعشرات الحِيل من ضمنها النقع بالماء لقبع الشارب والفم. وفي النهاية يئسنا من أذنِهِ الكبيرة لأنها متّحدة تمامًا مع الحائط, ثم إن أحدًا لن يشكّ أن تلك الأذن هي للقائد الخالد، وجَزَمنا أن الطلاء سيتكفل بتغييبها.

لكن في كل مناوبة كانت أذن كبيرة تتراءى لنا من الحائط كلما أردنا السخرية من حماقات الضباط لتفرض علينا موضوعًا واحدًا أوحدَ للحديث لا ثاني له, ألا وهو موضوع السيكس والنساء وآخر شيفرة مُسرّبة لقناة بلاي بوي!.

ساحة الاجتماع، في الثكنة ذاتها، مائلة باتجاه الشمال, وحول الساحة لوحات إعلان كبيرة بارتفاع متر تحمل صور حافظ الأسد, عندما ركن أحد الرقباء سيارة الزيل في الساحة وغادرها مستعجلاً ارتخى فجأة فرام اليد في تلك السيارة الروسية القديمة الطراز وأخذت تكرّ رجوعًا إلى الوراء مُحطِّمة وجه القائد الخالد. وأيضًا تشاء المصادفة العجيبة أن لا يبقى عالقًا من الوجه في تلك اللوحة الإعلانية إلا الأذن الكبيرة!.

في مطلع الثورة, بدأت تنتشر في مدينة السلمية ظاهرة الرجل البكّاخ, وصِرتَ تقرأ عبارات موالية للثورة هنا وهناك. فيما رجال الأمن يمضون النهار بطوله وهم مشغولون بشطبها. في البداية كانوا يشطبون العبارة كلها تمامًا كي لا يتمكن أحد من معرفة ما هو مكتوب, لكن ازدياد العبارات وكثرتها جعل مسألة الشطب النهائي للعبارة أمرًا مستحيلاً. لذلك بدؤوا بتحويرها, أي أنهم حين يصادفون عبارة كمثل (يسقط النظام) يكتبون قبلها (لن)، فتصبح: لن يسقط النظام!... إلى أن صاروا يقومون بذلك على نحو آلي ومن دون تفكير. الرجل البكّاخ يكتب ليلاً: يسقط بائع الجولان! وعناصر الأمن الأذكياء يحوّرونها في الصباح إلى: لن يسقط بائع الجولان! لكن أطرف واحدة على الإطلاق, هي عندما صار الرجال البكّاخون يكتبون ليلاً: يسقط الجحش. فيسارع عناصر الأمن في النهار ويضيفون: لن يسقط الجحش!.

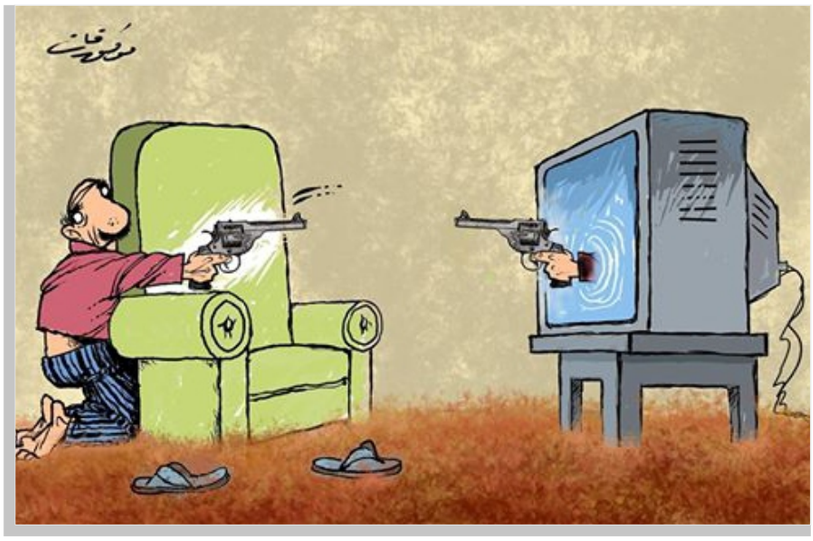

مواجهة مع العَلْماني الكافر

"كش ملك" ترحب بالدكتورة: ألمى أحمد

عشـــتُ طفولتي بعيدًا عن الرقابة المخابراتية التي كانت تفرضها أمي على أبي وبقية أخوتي، لسببين، الأول هو أنني أصغر بناتها، وأحفادها سنًا، فمُلّت من الأطفال والطفولة، والثاني هو أنني أقضـــي معظم أوقاتي مع قنبرّة وهي ابنة شيخ الضـيعة، فمن المسـتحيل أن تقوم بأي سلوك يرفضـــه الرأي العام آنذاك.. وكان الرأي العام هو ما تتفق عليه بعض العجائز تحت الحيطان بعد صلاة العصر من عيب وحرام وحلال... إلخ.

كنت أقطع مســـافة لا تتجاوز شلفة حجر لأدخل بيت قنبرة. كنتُ شخصـــًا مرغوبًا فيه أيام الطفولة في بيتها، علـى النقيض من هذه الأيام، لأنـي كنتُ متفوقة في دراســتي على أمل أن تغار مني قنبرّة أو أســاعدها في واجباتها المدرسية... أما اليوم فأبوها يتهمني بالعَلمانية، وكلما سمعتها تصـــــفني بالعلمانية أذكرها بشـــيطناتها أيام الطفولة حيث كان لهم جار وبينهم جدار مشـترك يفصـل حديقتي المنزل، وهذا الجار أستاذ يدرّس مادة الجغرافية في المدينة فلا يزور القرية إلا في المناســـبات. وعندما توفي والده كانت آخر زيارة له. يومها بنى الناس خيمة لاســـتقبال المعزين من رجال القرية ليجد الناس مكانًا محترمًا يجلســون فيه ويشــربون القهوة المرة والشـاي مقابل الاستماع لخطب شيخ القرية أو شيخ وافد. يومها كنا نحن الأطفال نســـتمع بتوق لأحاديث المشـايخ عبر مكبرات الصـوت، ونحلّق بأحلامنا لنعبر أنهار الجّنة ونتذوق فاكهتها فالتفاح والموز والكرز (على قفا مين يشـــيل) ونخاف من أحاديث الموت وعذاب القبر وأنكر ونكير، وتتجسد لنا في الرؤيا فنخاف لننسى طعم النوم حتى تصـطحبنا أمهاتنا لزيارة والد قنبرّة ليصـنع لنا حجبًا قطعة قماشية مصـرورة على شكل مثلث بداخلها ورقة محشـوة بشـــيء من الطلاسم.

وفي مجلس العزاء هذا بالتحديد خطب الشـــيخ خطبة أدمع بها عيون الرجال من الخوف حينما تكلم عن قبيلتي يأجوج ومأجوج وعن أعمالهما التخـريبية التي سوف تعيث في الأرض فسـادًا، والدليل على ذلك- كما حدث الشـيخ- هو دليل ملموس مفاده أن يأجوج ومأجوج قبيلتان موجودتان علـــى الأرض أنه عند مغيب الشمس يصنعون من الغيوم "قمر الدين" ويأكلونه وقال:

لكان ليش بيصير لون الغيم أحمر؟!!

ثارت ثائرة جار قنبرّة مدرس الجغرافيا وقال للشيخ:

حاجة تخرّف يا شيخ حرام عليك تحشي عقول هالناس بهيك خرافات.

امتعض الشـــيخ وتمتم وحوقل واستغفر ثّم خرج وتبعه معظم رجال القرية لاعنين العزاء وصاحب العزاء العَلماني الكافر بقمر الدين!

يومها قررت قنبرة الانتقام لوالدها فاصـــطحبتني إلى حديقة منزلهم واعتلينا الحائط المشـــــترك بينهم وبين مدرس الجغرافيا لنطل على حديقة منزله وقررت قنبرة أن تغرق حاكورة العلماني بالبصاق. وفعلاً بدأت البصـاق وأنا اســـتلحقتها إذ كنت أكره والدها لأنه يخيفني بأحاديثه عن القبر وويلاته فقلت لقنبرّة:

يا ذكية الأولى فيكي تبصـــقي ع حاكورتكن لأنه البصـــاق متل المطر بيزيل الغبرة وبيرّبص الأرض.

فكرت قنبرّة بالموضوع وقالت:

إذًا نزوّد حاكورتنا ببصـــــــاق قوي تفوووووووووووووو ليطير الغبار وببصـاق خفيف على حاكورته وتقصـد معلم الجغرافية يعني تفو بس. وهكذا عدلتُ بينهما وزودت الحاكورتين بالبصـاق حيث زودت النظام المشـيخجي ببصـــاق قوي قتاك والمدرس بـ بصـــاق غير قتاك ولك تفوووووووووو ع الغير قتاك والقتاك لأنه كله متل بصاق قنبرّة لن يقدم ولن يؤخر.

شي ضرب شي قتل

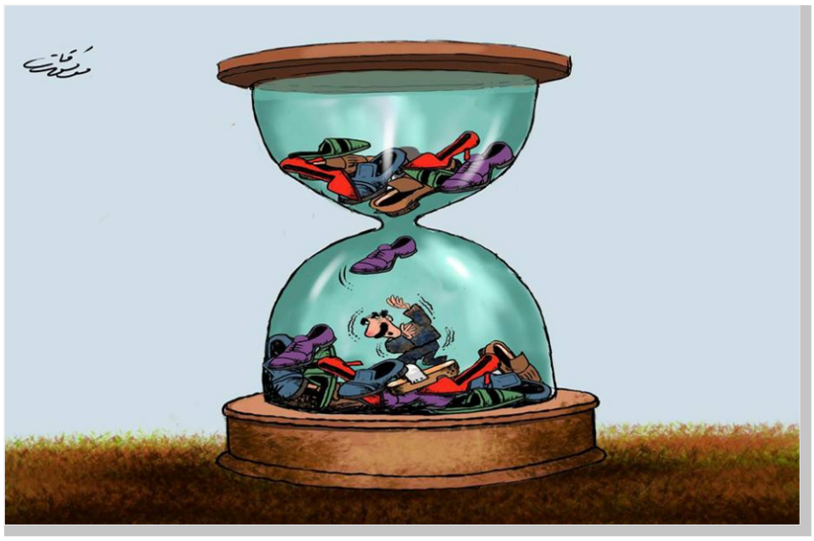

لكل مواطن فص.. ألماس

سامر قطان

وقائع متبعثرة خطرت لي وأنا أنظر إلى وجوه وفد السلطة السورية الذي ذهب إلى جنيف برئاسة وليد المعلم وعضويه فيصل المقداد وبثينة شعبان وعمران الزعبي وبشار الجعفري وغيرهم للمشاركة في المفاوضات المقررة!

وقائع منها أن هؤلاء هم لحمُ السلطة ذاتها وعظامُها التي أصدر رئيس وزراء فيها- يومًا- قرارًا ببدء العمل بالتوقيت الشتوي اعتبارًا من يوم الثلاثاء، حتى إذا ما طُبع القرار ووُزّع على الوزارات والمراكز والمؤسسات والهيئات المختلفة في البلد، صدر قرارٌ جديد يتضمن القول: (لاغيًا لقرارنا السابق ببدء التوقيت الشتوي يوم الثلاثاء، يُعتبر يوم الأربعاء هو بداية التوقيت الشتوي)!... فأعيدت طباعة القرار ورقيًا وأُعيد توزيعه على الجهات نفسها!.

ومنها، أن هؤلاء من لحم السلطة ذاتها وعظامها التي أوفد أحدُ أجهزة الأمن فيها مندوبًا عنه ليخبر صاحب مقهى الهافانا الدمشقي الشهير (وهو مقهى قديم للمثقفين على غرار مقهى ريش في مصر) بضرورة تفريق المجتمعين حول إحدى الطاولات إلى طاولات متعددة بحدود ثلاثة أو أربعة أشخاص للطاولة الواحدة وذلك لضرورات أمنية كما قال المندوب!.

ومنها، أن هؤلاء من لحم السلطة ذاتها وعظامها التي أصدرت بيانًا قالت فيه بأنها لم تلتزم بإطلاق سراح المجموعة الثانية من المعتقلين حسب الاتفاقية بسبب "سوء الأحوال الجوية"!.

ومنها، أنهم من السلطة ذاتها التي تفرض على المواطن السوري انتظار عشرين عامًا بعد تقديم طلبه بالحصول على خط هاتف أرضي!

وهم من السلطة ذاتها التي لم ينعم سكانُ العاصمة دمشق حتى يومنا هذا (ناهيك عن سكان المحافظات) بالحصول على الخبز من المخابز الآلية الحكومية سوى عبر كوة أسلاك مقطّعة تجرّح أيديهم حين يمدونها من الكوة لاستلام ربطة الخبز وتجرّح الكيس نفسه مع يد المواطن حين يخرجها!

وهُمْ من السلطة ذاتها التي قال زعيمها حافظ الأسد- يومًا- في خطاب متلفز إن الديمقراطية في سوريا أحق باسمها مما هي عليه في الولايات المتحدة الأمريكية، لأن لهذه الأخيرة حزبين فقط، في حين أن لدينا سبعة أحزاب في الجبهة الوطنية التقدمية!

وهم من السلطة ذاتها التي قام رأسها الأسد الأب بزفّ بشرى- ذات يوم- مفادُها أن الحكومة اكتشفت حقول ألماس في إحدى مناطق سوريا وأنه سيكون لكل مواطن "فصّ" ألماس!

وهم من السلطة ذاتها التي تواجهت فيها قوات حافظ الأسد مع قوات أخيه رفعت (من أمه وأبيه ولحمه ودمه!) في شوارع المزة، ثم تدخّلت والدتهما وفضّت المواجهة!

وهم من السلطة ذاتها التي حين علمت بأن أصحاب محطات الوقود يخلطون البنزين بمادة الكاز، منعت مادة الكاز من التداول وأخفتها درءًا للغش والاحتيال!

وقائع غريبة عجيبة لا صلة لها لا من بعيد ولا من قريب بما كنت أشاهد من أهداف ووقائع وأسباب ذهاب وفد السلطة إلى جنيف للتفاوض حولها وفي مقدمتها- كما يعلم الجميع- إنشاء هيئة حكم انتقالي بصلاحيات كاملة لا دور للرئيس بشار الأسد فيها!!.

سجلات القادة التاريخيين

ثامر وقدما الرئيس حافظ الأسد

الكاتب المدهش: الواوي

تعرفت إلى «ثامر» - بالثاء وليس بالسين- عندما كنت في «العسكرية». إنه رجل ذو بشرة شديدة الاسمرار، ملامحُه متجهمة، مقطبة، وشارباه يشبهان، إلى حد بعيد، شاربي «صدام حسين».

لا يجلس «ثامر» إلا شابكًا قدميه ببعضهما البعض كأنه تمثال بوذا، وإذا جلس بهذه الوضعية وأسند ظهره للجدار فيمكنه أن يستمر كذلك ساعات وربما أيامًا وهو يتكلم بشكل متدفق، حارّ، فيسيل كلامُه كنهر غني صاف، وما إن ينتهي من أول حديث حتى تُنسى تعابيرُه العابسة المقطبة، وتتحول شعْرات شاربيه إلى خيوط متراقصة على وقع كلماته الضاحكة وحديثه المسلي المكتظ بالهزل.. وهو يحتفظ بذات الوجه في كل الظروف، صباحًا ومساءً.. وكان ينبطح، أثناء العقوبات الجماعية والفردية، ويستلقي بهدوء، ويتلقى «سطول» الماء الباردة بذات القسمات المحايدة، ويبقى الشاربان «الصَدَّامِيَّان» ثابتين في مكانهما لا يتزحزحان.

حينما جاء قائد الدورة وسأل عن «مجندين» يُحْسِنون النحت فوجئتُ كثيرًا برفع ثامر يده. كنت متأكدًا أن ثامر أبعد ما يكون عن «الفنون الجميلة». لكنه سرعان ما خرج من الصف ووقف بمواجهة قائد الدورة مثل نحات قارح، ثم بدأ يشوِّح بيديه ورأسه كما لو أنه يشرح له شيئًا مهمًا.

مضى وقت الاستراحة بطيئًا مملاً. افتقدنا جلسة ثامر الطريفة، وبدأ الفضول يأكلنا لمعرفة مكانه، وماذا طلب منه قائد الدورة، وعلاقة كل ذلك بالنحت! خمّنا أشياء كثيرة. قلنا: لعل قائد الدورة يريد تركيب ديكورات «جبصين» في صالونه، أو مكتبه، أو يريد مَن يسكب تمثالاً نصفيًا لزوجته، وكنا اعتدنا على طلبات قريبة من هذه، فقد جمعنا «القائد» ذات يوم بشكل مفاجئ ليسأل عمن يملك زمرة دم «بي سلبي»، لأن خالته في المستشفى تحتاج إلى هذا النوع النادر من الدم.

اخترق عريف الدورة غيمة الملل التي ظللت رؤوسنا، ونادى بصوت عال باسمي: هشام.. سيادة قائد الدورة يريدك.

تحركتُ مسرعًا إلى مكتب قائد الدورة. أدخلني الحاجب إلى مبنى القيادة ثم انحرف بي إلى صالة جانبية كان قائد الدورة يقفُ في وسطها وبجانبه ثامر وهو يحدثه كصديق قديم.

شاهدني ثامر فأومأ بيده نحوي، وتحدث مع قائد الدورة قائلاً: هذا هو يا سيدي «الفنان» الذي حدثتك عنه بموضوع النحت والموازييك والحفر على الخشب، مستحيل تلاقي مثله بكل الدورة.

لم يلتفت قائد الدورة نحوي، بل وجه كلامه إلى ثامر: حسنًا.. أنجزوا العمل بسرعة فليس لدينا وقت..

ثم خرج من القاعة.

نظرت إلى ثامر بتوجس وريبة، وقلت له: شو القصة ثامر؟؟ لا تورطني. أنا ماني قد فوتاتك...

لم يتخلَّ ثامر عن الحزم المزروع على جبهته، فوضع يده على كتفي وأشار بيده الأخرى إلى تمثال لحافظ الأسد موضوع في صدر القاعة لم أكن منتبهًا لوجوده إلا بعد أن أشار إليه ثامر. كان تمثالاً بالحجم الطبيعي مصنوعًا من مادة صفراء اللون. كان حافظ في «التمثال» يرفع جبهته بشمم، ويشير بأنفه إلى صدور أعدائه، ويعقد كفيه أمام بطنه آخذًا أقصى درجات الجدية، والنصف الأسفل من التمثال مغطى بقطعة قماش كبيرة تلفه لفًا وكأنها «تنورة».

نظرت إلى ثامر بفم مفتوح من الدهشة والخوف مستفسرًا، فابتسم لي ثم أجاب بهدوئه المعهود: أقدام السيد الرئيس كبيرة شوية بدنا نصلحها.

حل ثامر الإزار الذي يغطي القسم السفلي من تمثال الرئيس ووضعه جانبًا، بدا القسم الأسفل وكأنه لا ينتمي إلى القسم الأعلى، ساقاه قصيرتان ومنتفختان وكأنهما مصابتان بالدوالي، قدماه ضخمتان متورمتان كمن تَلَقى لتوه ضربًا شديدًا عليهما، «بالفلق»!! رُكِّبَتا التمثال كانتا منحنيتين وكأن الرئيس مستعد «ليقرفص» وثمة شيء متكلس في ركبتيه يمنعه عن «القرفصة»!

كان التمثال شديد التناقض، ويمكن التخمين أن «الفنان» الذي نحت القسم الأعلى يختلف عن الشخص الذي «نَجَّرَ» القسم السفلي! كان المشهد مضحكًا، والمفارقة صارخة، بمقارنة حضور الرئيس المهيب وهذا التمثال «المسخ» المستعد للقرفصة!

نظرتُ إلى ثامر وشعور بالخوف يجتاحني، بعد أن ضحكت قليلاً. ولكن الشعور بالخوف كنس كل أثر للضحك. ملامح ثامر المتحجرة لم يطرأ عليها أي تغير، وحافظتْ كلُّ خطوط وجهه على وضعها التقليدي. غالبتُ شعور الحيرة والخوف وسألت ثامر بلهفة:

شو نعمل؟؟ وشلون بدنا نصلح هالخربطة؟؟

نظر إلي، وما زالت تعابيره متخثرة على انفعال واحد لا يتغير وقال: بسيطة... نضربه على رجليه حتى يستقيم!

غالبت ضحكة كادت أن تنفلت مني، وأشرت له بيدي أن يخفض صوته, ولكنه لم يلتفت إلي واقترب إلى أقرب نقطة من التمثال وأشار إلى وسطه وتابع نظريته في إصلاح التمثال: نقطع له هذه الزيادة.. من هنا... ونكسر قليلاً من رجليه.. وقد يحتاج الأمر أن نخلع حذاءه ونضع له واحدًا جديدًا..

أعاد ثامر جميع عباراته أمام قائد الدورة، وتمادى إلى حدود أعمق عندما بدأ يشرح له وضعية القرفصة التي يعيشها تمثال الرئيس، وضخامة ساقيه، وتورم قدميه، والحالة المزرية لركبتيه، وبدا في أقصى حدود الجدية وهو يتابع شرح الخطوات التي سيقوم بها لإصلاحه. اتخذ ثامر وضعية الفنان بعد أن يتقمصه شيطان النحت، واستخدم يديه بأقصى اتساعهما وتابع شرحه قائلاً:

هذه الخامة من «الغرانيت» الهش سريع التفتت وقليل القدرة على الثبات أمام عوامل الطبيعة، لذا من المحتمل أن تؤثر عليه مياه الأمطار، ودرجات الحرارة المنخفضة ستحفر فيه أنفاقًا صغيرة تجعله عرضة لبيوض الحشرات والهوام، لذلك يفضل طَلْيه بمواد خاصة ليصبح أكثر قدرة على المقاومة، ويجب رشه برائحة خاصة تجعل الطيور تهرب منه، أما القسم الأسفل فسنجرب المبرد لنأكل بعض قدميه، ولا مهرب من تكسير شيء من ساقيه، وترقيعه بمادة مساعدة.

كان قائد الدورة يستمع إلى سيل العمليات التي ستجرى على التمثال بكثير من الانتباه وهو لا يقوى على النظر في عيني ثامر مباشرة. كان يرمق التمثال ويقيسه من أعلى إلى أسفل بعينيه ويتشاغل بجس جسد الرئيس وهو يهز رأسه موافقًا على كل ما يقوله ثامر، بينما كنت أحاول تقمص دور الفنان الذي سيساعد ثامر في «منح» الرئيس شكله الجديد.

كتب ثامر لائحة بالمواد التي يجب تأمينُها وسلمها إلى قائد الدورة فصرف القائد مبلغًا كبيرًا من المال لثامر وأعطاه مطلق الصلاحية في الدخول والخروج إلى مركز التدريب ساعة يشاء حتى الانتهاء من التمثال.

أصبحنا ندخل ونخرج من الباب الرئيسي لمركز التدريب بكل حرية ولا يتطلب الأمر أكثر من كلمة «تمثال» فما أن يسمعها الحرس حتى يأذنوا لنا بالدخول، وبعد أيام قلائل أصبحنا زبونين مداومين نخرج صباحًا ولا نأتي إلا في ساعات المساء.

مضى الوقت بسرعة ونحن نأكل ونشرب على حساب التمثال، وثامر لم يلمس التمثال إلا في المرة الأولى عندما فك تنورته. كنت أحس بالتوتر والخوف وأنا أتناول المشاوي والكبب في مطعم المدينة، وكانت أعصابي تلتهب كلما وقع ناظري على التمثال وهو «بقرفص» منتظرًا مبضع ثامر، كان هدوء ثامر والثقة التي تطل من عينيه يسريَّان عني فأغرق في صحون التبولة والبابا غنوج.. وكلمات ثامر الممتلئة بالقوة ترن في أذني:

لك كول هلق.. التمثال مين سائل عنه؟؟

تغيرت نظرية ثامر في آخر يوم من أيام المهلة الممنوحة فقطب حاجبيه ومط شفتيه ودخل إلى مكتب قائد الدورة بخطوة المنتصر في الحرب، أمضى بعض الوقت في الداخل ثم خرج ومعه قائد الدورة وعلى وجهه ابتسامة نصر. صافح ثامر بحرارة وعاد إلى مكتبه.

عدنا إلى صالة التمثال، ساعدت ثامر في بطحه على وجهه، ثم استل منشارًا كهربائيًا وقطع التمثال إلى قطعتين متساويتين، استعمل قائد الدورة القسم السفلي كطاولة لأكواب القهوة والشاي، ونقل القسم العلوي إلى مدخل قاعة الشرف حيث نصبه على «برميل».. مطلي بأعلام الوطن!

مرحبا بكم
كردستان دير الزور

للكاتب الفكه الرائع
مروان علي

"المناطق المحاصرة"

ظل عمي «جميلو» طوال حياته الطويلة، تسعين سنة بالتمام والكمال، مشغولا بأسعار المواشي والقمح والشعير والتبن، ومَصْدَرًا للمعلومات الكاملة عند شراء خروف أو بقرة أو عنزة لأهالي «كرصور» والقرى المجاورة (نيف، كفر سبي، كوتيا، كرديوان، موسيسانا، قوشاني، بيرا بازن).

تزوج للمرة الثالثة في السبعين وأنجبت زوجُته الجديدة بنتًا جميلة كالقمر... ودون تردد أسماها «كردستان»، رغم أنَّ زوجته كانت تفضل أن تسميها «بديعة» على اسم أمها التي انتحرت حرقا لأسباب مجهولة. سعادة عمي لا أحد يستطيع وصفها. جاءت كردستان ركضت كردستان مرضت كردستان كبرت كردستان ذهبت كردستان إلى المدرسة كتبت كردستان وظائفها نجحت كردستان.

قبل أن تكبر كردستان كان يلعب معها في شوارع كرصور الترابية، ويركض خلف الكرة التي تلعب بها وتطير مع الهواء حتى أطراف القرية، أو خلف دراجتها الملونة الجميلة.

قال شيخموس بركات لعمي: كريف ابنتك اسمها كردستان، لا بد أن تترك الغش في سوق المواشي أولًا، وثانيًا، لا بد أن تنتسب لحزب كردي، وثالثًا يجب أن تفكر معنا.

قال عمي، قبل المرحوم معمر القذافي: من أنتم؟

قال شيخموس بركات: نحن الشعب الكردي! كيف نحرر كردستان؟ لا يعقل أن يظل هذا الوَطن الجميل (تخيل عمي جارتنا الشابة في قميص النوم) تحت رحمة الاستعمار والإمبريالية والإقطاعية والرجعية والشيوعية والاشتراكية.

رد عليه عمي بحزن شديد مفتعل: نعم نعم، وماذا علينا أن نفعل لنحرر كردستان؟

تابع شيخموس بركات: كل واحد منا يقدم ما يستطيع تقديمه، ويشارك حسب قدرته بدعم الثورة. ونظر نحو الشمال حيث الجبال الكردية البعيدة وتابع:

لكن الخطوة الأولى هي أن نحدد حدود كردستان، تعرف جيدًا أن الفرنساويين والإنكليز خربطوا الحدود، ولا بد لنا من إعادة رسم حدود المنطقة بعيدا عن خطط السيد سايكس بيكو وخرائطهما الجهنمية التي أعطت الجميع حقوقهم، إلا نحن الكرد حرمونا.. أولاد الشرموطة من حقنا. في المساء كان عمي يرسم خريطة كردستان فهي تبدأ من «ديار بكر» مرورًا بـ «مهاباد» وحتى «الموصل»، ومن ثم تكمل الخريطة طريقها إلى حلب وتعود أدراجها إلى «القامشلي» مرورًا بـ «دير الزور» و«الرقة» حتى «ماردين».. ثم تصل بأمان إلى «ديار بكر».

احتياطًا رسم عمي الخريطة مستخدمًا قلم الرصاص. وكان يقدم الحدود أو يؤخرها ويضيف مدنًا وقرى حسب مزاجه!! إذا كانت زوجته قد طبخت له البرغل ولحم الخروف.. يضيف إليها مدنًا جديدة، وأحيانًا تصل حتى حدود روسيا، أما إذا كان أحدهم لم يسدد له ديونه، أو أن زوجته أدارت له ظهرها في الليل، أو أزعجه أحدُهم بكلمة، أو خسر في صفقة صغيرة، فإنه يحذف منها مدنًا وقرى حتى تصبح صغيرة ولا تضم غير «كرصور»!

لكن شيخموس بركات الذي أدمن السياسة وكان يتنقل من حزب كردي إلى آخر، كل ذلك من أجل الشعب الكردي حتى استقر في «حزب الكادحين الكرد» هذا الحزب الذي يتحدث عن بناء كردستان ديمقراطية شعبية اشتراكية عظمى في بياناته، ولكنه يشارك في كل احتفالات حزب البعث وفي كلماته التي يلقيها يؤكد على أن سوريا قلب العروبة النابض وحين يعود إلى البيت يتحدث عن كردستان الكبرى!! حتى إن زوجته «فهيمة» قالت له:

يا رجل، أصبحت مثل الدجاجة التي ستبيض بعد قليل! لماذا لا تستقر على موقف واحد؟

رد بهدوء مفتعل: السياسة فن الخداع والكذب ولا مكان للأخلاق فيها يا حبيبتي، هل تريدين مني أمضي عمري في سجن تدمر أو صيدنايا؟؟

بعد وضع اللمسات الأخيرة على «خريطة كردستان» انطلق عمي نحو قرية «علي فرُّو» المعروفة بمواقفها الكردستانية الحديدية، لعرض الخريطة على حجي كردستان (واسمه حجي لندن من شدة تعلقه بهذه الإذاعة ولا أحد يتذكر اسمه الحقيقي «جعفر») الذي لا يترك أي أمر يتعلق بالأمن القومي الكردستاني إلا ويشرف عليه. وقبل أن يصل عمي إلى بيته، كانت دورية الأمن السياسي له بالمرصاد.

حاول عمي أن يهرب لكن كرشه منعه من ذلك خصوصًا أنه كان قد التهم طنجرة كاملة من البرغل بمناسبة الانتهاء من وضع الحدود النهائية لدولة «كردستان».

في مفرزة الأمن العسكري في القامشلي، وبعد الدولاب الأول، اعترف عمي بكل شيء، ووعد المساعد أبا علي بمبلغ من المال، وكبش، وتنكة سمنة، إذا مشى له الأمر هذه المرة، ولن يعود أبدًا الى مثل هذه الأمور التافهة مستقبلًا، وأنه سيظل وطنيًا شريفًا مخلصًا، وسيزرع صور الأب القائد في كل مكان من بيته!.. في الصالون وغرفة الضيوف وحتى وفي المطبخ.

قال أبو علي: يا جميل، نحن في سوريا نقف مع حقوق الشعوب وخاصة الشعب الكردي، ونحن مع دولة كردستان حرة مستقلة، لكن، أن تصل حدود هذه الدولة إلى دير الزور القضية بتصير صعبة كتير، خصوصًا أن دير الزور قلب سورية النابض، وقتها بتطلع من إيدي الشغلة، وما بعرف كيف بدي ظبطلك ياها.

قال عمي «جميلو»:

يا سيدي، نحن رسمنا حدود كردستان بقلم الرصاص.

وأخرج من جيبه الممحاة وقال:

تفضل ارسم حدود كردستان على كيفك!

عندما تحول الرفيق المناضل إلى أوابد

غزالة شمسي

انشـغلتْ ورشةُ البناء والترميم بالحماس، واكتنف كلَّ فرد منها شعورٌ وطني بالغ بالمسؤولية، تجاه الصرح الأثري الهام الذي يقومون عليه.

مثل خلية النحل، استلم كلٌ عملَه الخاص، وكرَّسَ أقصـى جهده الفني والتقني للمحافظة على دقة الترميم، بحيث لا يمحى روح التاريخ وعبقه من جدرانه ومداخله ومنحوتاته.

ينادي رئيس البعثة الأثرية على أحد العاملين:

تعال ولاه، يا ابني، شـيل من هون وحط هون، نزل هون وعَلّي هناك، انتبه مليح يا ابني، لأن هذا تاريخنا وما لازم نفرط فيه.

يندهش العامل من طلب المشـرف بما لا يمت للترميم بصـلة، يرد من قحف رأسه وعشق التاريخ ينبع من كل خلية من جسده:

حاضر يا سيدي ولا يهمك منتبهين لأدق التفاصيل وأوامرك كلها مستجابة.

يضـع المدير يديه الاثنتين في جيبه، وكالنابض يشـد جسـده بتواتر، عاليًا ثم واطئًا. يقول وهو يرسم في عينيه نظرة فيلسوف:

ما بدي ولا ذرة تراب تضـــيع من هذا الأثر الخالد تحت الرجلين. فهمت يا ابني؟ هذا شي مقدس.

ثم تكاد تتمزق حباله الصـوتية وهو يصـرخ: ولك هذا تاريخنا بتعرف شو يعني تاريخنا؟

يرد عامل آخر: طبعًا يا سيدي طبعًا ولو! نحنا حريصين أكثر منك على آثارنا يلي تركلنا ياها جدودنا.

المدير: تعا يا ابني نزل لي اللوحة يلي مكتوب عليها اسم الصـرح الأثري بدنا نجددو منشان يلائم العصر، لازم نربط الماضي بالحاضر، ما هيك يا ابني؟

ينفذ العامل الأمـــر قائلاً: والله ما فهمت عليك، بس أكيد معك حق ورأيك صواب...

ثم يحدث نفسه: يا ترى شو بيقصد؟ بس ما ناكل صواب بعد تعبنا.

بعد أقل من شـهر تم الانتهاء من الترميم، وجاء وقت التدشـين. وقف الناس أمام الصـرح الأثري العظيم الذي يعود إلى حقبة زمنية بعيدة، مشـدوهين بروعته كأنه نقلهم إلى أدغال التاريخ كي يعاصروا بَنّائيه:

صبية جميلة استلمت مؤخرًا مديرة لقسـم الآثار والمتاحف في المنطقة، ابنة مسـؤول البلدية التي يتبع لها القسـم.. وقفت بجدية مصـطنعة لتلقي خطبة عصماء أمام الحشد الذي تباهى بكونه ابن هذا التاريخ العريق قائلة:

أعزائي الحضـور. طبعًا لا ننكر الجهود المضـنية التي بذلها العمال لترميم الآثار، والحفاظ عليها من أيدي العابثين المتطفلين، الذين ما زالوا ينكـرون على هذه الآثار قيمتها النادرة، ولا يقدرونها حق قدرها، وشكرًا..

يعلو التصفيق الحاد.

يختطف رئيسُ معهد الآثار الميكرفون، وباعتزاز مزيف وتحفيز للمشـاعر، يبدأ بالصياح كالديك الذي يظن أنه أيقظ الشمس:

أيها الحضـور الكريم مبروك عليكم هذا الإنجاز المحدّث، سأخبركم بالحقيقة التالية:

لقد قام المخربون الذين لا يحترمون تاريخنا العريق، ولا يجلونه، بالعبث بهذا المنجز وتشويهه، فانمحى واندثر الاسم الرسمي الحقيقي للصـرح، وقد تفاوتت وتضاربت الآراء حوله، ولم نصل بعد البحث والتنقيب المضـني إلى أصوله، لذلك أيها الجمهور العزيز قررنا ربط الماضي بالحاضر، وتسـمية هذا الصرح الخالد باسم الشهيد المناضل باسل حافظ الأسد!

وأعطى للاسم جرسًا مدويًا بينما يداه تشيران إلى الأعلى مرات عدة، مشيرًا إلى بعض الشبان ليقتربوا حاملين تمثال الباسل البطل المغوار، والحجر الذي حفر عليه اسم الصرح الجديد.

دوى تصـفيق حاد مع قراءة الفاتحة على روح الشـهيد الذي ناضل في سبيل الوطن، وقدم له أسمى التضـحيات فاستشـهد على طريق المطار أيام حرب الـ... أي حرب؟ أعتذر، نسيت، تذكروا أنتم.

وهكذا يا سادة أطلق اسمٌ معاصرٌ على أثر قديم. وبعد مضي زمن ما، ستحتفل الأجيال القادمة كل سنة بذكرى تشييد هذا الصرح العظيم في عهد الباسل، مع نبذة قصـيرة عن حياته التي تُختصـر بوقوفه في وجه الاحتلال والطغيان والفساد ووافته المنية وهو يحارب أعداء الوطن.

للاطلاع إليكم العنوان: شارع البعث- جانب معهد الأسد لتحفيظ القرآن- يمين حديقة الباسل- مباشرة بعد تمثال الرئيس حافظ الوطن والمواطن.....

سوريا بأبنائها

إعلان نتائج جائزة المزرعة للرواية دورة ٢٠١٣/٢٠١٤

في أواسط شهر آذار (مارس) ٢٠١٣ بادرت رابطة الكتاب السوريين إلى الاتصال بالمهندس يحيى القضماني وعرضت عليه فكرة التعاون بين الطرفين لاستئناف العمل بجائزة المزرعة التي كان المهندس القضماني يجريها ويمولها في السويداء بين عامي ١٩٩٧ و٢٠١١..

بناء على ذلك تم الإعلان بتاريخ ١٧/٤/٢٠١٣ عن جائزة المزرعة للرواية على أن تكون:

الجائزة الأولى: ٨٠٠٠ دولار

الجائزة الثانية: ٥٠٠٠ دولار

الجائزة الثالثة: ٣٠٠٠ دولار

تقدم للاشتراك بمسابقة الجائزة نحو سبعة عشر نصاً روائياً لكتاب سوريين، أحيلت، بعد تجريدها من أسماء كتابها، إلى لجنة رفيعة المستوى تتألف من الأساتذة:

الروائي الليبي أحمد ابراهيم الفقيه

الروائي الكويتي اسماعيل فهد اسماعيل

وأديب سوري كبير لا نستطيع ذكر اسمه (لأسباب تتعلق بسلامته وسلامة أسرته).

بتاريخ ١٧/٤/٢٠١٤، في ذكرى استقلال سوريا الأول، عقد، في تركيا بالقرب من الحدود السورية، مؤتمر صحفي حضره مثقفون وأدباء وصحفيون سوريون.. حيث قرأ الأستاذ أحمد ابراهيم الفقيه تقرير اللجنة، وأعلن أمين الجائزة حسام الدين محمد التقرير النهائي المتضمن فوز الأعمال التالية:

بالمرتبة الأولى رواية رمش إيل للأديب السوري فخر الدين فياض.

بالمرتبة الثانية رواية قهوة الجنرال للأديب السوري غسان الجباعي.

بالمرتبة الثالثة رواية قميص الليل للأديبة السورية سوسن جميل حسن.

وألقى المهندس يحيى القضماني كلمة تحدث فيها عن تاريخ الجائزة التي كانت الوحيدة في سوريا التي لا يسيطر عليها النظام والمخابرات، وألقيت كلمات الأدباء الفائزين بالنيابة عنهم، باعتبار أنهم لم يتمكنوا من مغادر سوريا بسبب الحالة القمعية التي يستمر النظام في تصعيدها ضد شعب سوريا، وبالأخص الأدباء.

حضرت الدكتورة تغريد الحجلي وزيرة الثقافة والأسرة في الحكومة السورية المؤقتة المؤتمر الصحفي، وألقت كلمة قصيرة أبدت فيها تقديرها لهذا الجهد الكبير الذي تقيمه مؤسسات المجتمع المدني السورية رغم الآلام.

وكانت أمانة الجائزة قد اتفقت مع دار نون للطباعة والنشر على طباعة الأعمال الفائزة، فأنجزت الدار، مشكورة، وضمن زمن قياسي، طباعة الأعمال الفائزة، وعلى نحو أنيق، وجذاب، ووزعت نسخ من الروايات على الحاضرين أثناء الإعلان عن النتائج.

قريباً الإعلان عن الدورة التالية من جائزة المزرعة.

مختصون بكش الملوك

نقابات مفلسة وأحزاب متيبسة

لؤلؤة الرواية السورية
سوسن جميل حسن

قررت إني أســـتقيل من مهنتي الطبية، و هي المهنة اللي "بتقصّر العمر"، ما بتقصـــرو لأنها مهنة المتاعب "متل ما بيقول المحامين أو الصـــحافيين" لكن لأنها مهنة المشـــقات و الشـــقاء، مهنة مواكبة الوجع الإنســـاني المألوف، "مو الوجع الناجم عن كل أشكال التعذيب النفسي و الجسـدي في سجون الطغاة"، وبقصـــــد بالمألوف أنه الوجع هو الناجم عن الأمراض و التوعكات اللي بتصيب الناس بشكل طبيعي، و هي جزء من الحياة الطبيعية، متل حياتنا نحن السوريين الغارقة في طبيعيتها تحت رحمة البراميل و القذائف و الصـــواريخ و غيرها من الأسلحة المقدسة اللي بتحصد البشر بالجملة و المفرق.

اتخذت هادا القرار التاريخي في ظل الأزمة التي عم تمر فيها البلاد، نتيجة المؤامـرة الكونية عليها، وما بخفيكون أنو الأزمة ما إلها علاقة بقـراري إلا من بعيد لبعيد، لأنه لما قررت أستقيل و أنفد بما تبقى من صحتي النفســـــية و الجســـدية بعيدًا عن درب الآلام، كنت ضامرة نيّة ماكرة بصـــدري، كنت عمأحلم عيش عشـــقي المؤجل من سنين!... لا يروح فكركم لبعيد، عشـــقي المقصـــود هو الكتابة، وكتابة الرواية تحديدًا، الرواية اللي قال عنها (يوسا) صـــاحب إحدى النوبلات مو "النبيلات": تلك الكذبة التي تدعى رواية. أنا عاشـــقة ومتيمة بهذا النوع من الأدب حتى لو كانت كذبة، لأنها كذبة حميدة نبيلة خصـــبة صانعة للحياة و عنيدة، لأنه بالرغم من كل محاولات الطغاة لقتلها باعتبارها منافسة لكذباتهم، ما قدروا يقتلوها وبقيت عمتحفر أنفاق على مر السنين حتى الشعوب تطلع عالحرية برغم أنف كل أعداء الحرية.

المهم، بعدما اتخذت قراري واستقلت من وظيفتي الحكومية بوزارة الصـحة، رحت إلى نقابتنا العتيدة، نقابة الأطباء حتى ســـجل الاســـتقالة وأتنازل عن شرف العضوية فيها، وبالمرة، و هاذا سبب كتير جوهري، بقبض مستحقاتي التي هي مدخراتي على مدى سنين خدمتي.

اللي صار، يا سادة يا كرام، هو أن النقابة العظيمة طلعت مفلســـة، ليش؟ قال لأنو سورية عمتمر بأزمة، بســـبب المؤامرة الكونية طبعًا! والباقي في صندوقنا الـ "مصدّي" من أموال قرروا يوزعوه على الأطباء ذوي الإعاقات أو المرض العضـــال! وأنا بعيد الشـــر عني ما بشـــتكي من شي! ولما رفعت صوتي مطالبة بحقي لأني أنتمي إلى رتبة المواطن، سمعت محاضـرة رنانة عن الوطنية، وتبين أني مصـــابة بمرض عضـــال أخطر من نقص المناعة المكتســـب، هو النقص بالشـــعور الوطني. وقتها "إجتني الجمدة" لأنو هيك صدمة مو قليلة، صدمة أني أكتشـــــف مرض خطير من هالنوع بظروف استثنائية. وبرغم كل خطورة المرض اللي ما بيشـــملني، رجعت خائبة وأنا عم فكر بحالتي وعم جرجـر ذيول خيبتـي، وتذكـرت حالتنا نحن الأطباء بالســـنوات الماضية، ورحت أضحك لوحدي بالشـــارع وأنا عمأذكر حادثة صارت مع زميل إلي كان راجع من بلد الاختصـــــاص من كم سنة وتعين مدرس بالجامعة، زاره صـديقه المقيم بالخارج أثناء إجازة بالبلد، ســـأله عن البحث العلمي باعتباره أســـتاذ جامعي، وباعتبارو بيعتقد أن البحث العلمي شرط ضروري متلو متل التدريس، وخدمة المجتمع.

الحقيقة متل ما حكى لي زميلي وقتها، رد عليه بأســى بأن ثقافة البحث العلمي غير موجودة في جامعاتنا! مع أنه في مبالغ كتيرة مرصودة لخدمة هالشعار، لكن هالمبالغ في الواقع بتنصرف في المجالات المتاحة لخدمة المصالح. ولما استنكر الزائر بصوت عالي:

إذا ما عندكون بحث علمي وأنتو أساتذة جامعات، شو عندكون لكان؟

رد عليه زميلي:

متل مو شايف، بحث عن الزبائن.

ضحكت لما تذكرت الحادثة، وتذكرت حالتي كيف أمضـــيت هالســـنين عمأبحث عن زباين للعيادة، وأركض كل ســـنة بلهفة حتى أدفع اشـــتراكاتي للنقابة على أمل يجي اليوم الي رح أتنعم ببحبوحة العيش بتعويضـــــاتي، بيطلعلي اجتهاد الهيئة المركزية بقرارها التاريخي على شـــاكلة القرارات التاريخية الي صار إلها القيادة السياسية بتاخدها أربعين سنة، بأنو رفعوا سن التقاعد للخمس وستين سنة، باستثناء وحيد بقي بلا سقف ولا سن محددة للتقاعد هو حزب البعث العربي الاشـــتراكي القائد للدولة والمجتمع، واللي صار عمره ثمان وستين سنة وبعدو على راسنا، قصـــدي على رأس عمله.. مع أنو هالحزب، يا حسرتي عليه، مصاب برجفة قصـدية بلغة الطب، هاي اللي منشوفها عند مرضى باركنسون الكبار بالعمر، لما بيمد إيدو ليمسك شي أو يعمل أي حركة إرادية بترجف الإيد وبيوقع الغرض وبينكسر..

مدونات الحمير والحشاشة

حديث الحمار السوري الحكيم

(بالتعاون مع موقع "زمان الوصل")

ينقلها من لغة الحمير محرر أفهم من الحمار بشيء لا يُذكَر

تزاحمت الأخبار - في الآونة الأخيرة- على وكالات الأنباء الخاصة بنا نحن الحمير. وأجهدتْ تلك الوكالات نفسَها في سبيل تقديم أكثر الأخبار معقولية وملاءمة لعقول الحمير، ولا سيما بعد الحادثة التي حصلت في شهر آب (أغسطس) من العام الماضي، على أثر تصريح بنت جلدتنا السيدة بثينة شعبان بخصوص ضرب الغوطة الشرقية بالكيماوي من قبل العصابات التكفيرية التي جاءت لتسقط نظامنا السوري الرائع.

يومها، كنا واقفين على بعد أمتار من "الطَّوَالة"، بعدما انتهينا من تناول وجبة تبن مع شعير ممتازة، وشرعنا نتفرج على محطة "حاء حاء دنيا تي في"، حيث كانت الزميلة بثينة شعبان تقدم للمشاهدين حقيقة ما جرى، وهو أن عناصر من جبهة النصرة وداعش كانوا يجمعون أطفالاً من قرى الساحل السوري ويقولون لهم:

يا الله عمو، اطلعوا عالباص، بدنا ناخدكم تش عالغوطة!..

وكانوا يغنون لهم:

ع الغوطة يللا نروح

يلا ع الغوطة

عروس الشام الحلوي

بدها زلغوطة.

والأطفال يصعدون إلى الباصات فَرحين.. حتى إذا ما امتلأت الباصات بالأطفال الأبرياء الحلوين ساروا بهم عابرين تشكيلةً رائعة من الحواجز الأمنية التابعة للتكفيريين، وللنظام الوطني السوري الممانع، وللإخوة الأعزاء من اللجان الشعبية الذين يعرفون باسم (الشبيحة)، ولم يخطر ببال أي واحد من مسلحي هاتيك الحواجز أن يمنع الباصات من المرور، لأن كافة الأطراف- الله يعزكم- لديهم فائض من الحنان باتجاه الأطفال، وكانوا يرددون البيت القائل:

يا رب من أجل الطفولة وحدها أفض بركاتِ السلمِ شرقًا ومغربا

ويقولون للسائق: تابع طريقك!

دواليك حتى وصلوا الغوطة، ووزعوا الأطفال على بيوت الناس تيمنًا بآخر ابتكار للرفيق المرحوم أحمد أبو موسى الذي دأب قبل رحيله بسنوات على إصدار توجيهات إلى الشعب السوري باستضافة الطلائعيين في بيوتهم، ليس لأن المنظمة فقيرة ولا تمتلك أجرة أوتيلات وثمن طعام- معاذ الله- ولكن لأجل تقوية اللحمة الوطنية، هذه اللحمة التي شاهدناها تعطي ثمارها خلال السنوات الثلاث الماضيات على أكمل وجه!

المهم في الموضوع، انتهت الزميلة بثينة من روايتها المتعلقة بأطفال الساحل، وبينت لنا كيف قامت طائرات سلاح الجو التابعة للعصابات الإجرامية المسلحة بقتل الأطفال الضيوف مع أهالي الغوطة الذين يستضيفونهم.. وإذا بابن جلدتنا الحمار "أبو تنوح" يقع على الأرض مغميًا، عليه!... فسارعت شاحنات الإسعاف بنقله إلى أقرب مربط صحي، وهناك أدخل إلى العناية المشددة، واتضح أن حديث الزميلة بثينة قد أصابه بما يسمى طبيًا بـ"النزيف الدماغي"، أو، بحسب ما يرد في شهنقاتنا نحن الحمير بأن هذا الكائن النبيل "طق عقله"..

وعلل الفريق الطبي ذلك بأن "أبا تُنوح" المحترم كان قد نسي عقله على وضعية (ON) قبل سماعه التصريح، بينما نحن الحمير الواعين لمستجدات المرحلة قد وضعنا عقولنا، من باب الاحتياط في وضعية (OFF)!

الوكالات الحميرية، منذ هاتيك اللحظة، بدأت تبث لنا الأخبار بطريقة مبسطة للغاية، فعرفنا، من خلال ذلك، أن السيناتورات الأكارم أعضاء مجلس الشعب السوري، قد تنبهوا لخطورة المؤامرة التي ما فتئت تتسع يومًا بعد يوم، مثلما يتسع الخرقُ على الراتق، فأصدروا قانونًا يقضي بالسماح لمن يشاء من السوريين المقيمين داخل سوريا بترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية! مع التأكيد على أنهم لا يضمنون لهم النتائج.

وعرفنا، كذلك، في هذه الآونة، أن الرفيق هلال الأسد قد استشهد في معركة كسب وهو يدافع عن تراب سوريا في وجه الهجمات التكفيرية! وأوردت وكالة (Barseem News United) إضاءة على سيرة الرفيق هلال تضمنت وَلَعَه، حينما كان في أوج نشاطه، بما يعرف باسم "رد المظالم إلى أهلها"، وحرصه على الوحدة الوطنية بين الإخوة السوريين، فكان يدعو إلى إزالة الصفة الدينية والمذهبية من شخصيات البشر، ويحبذ أن يقول الواحد عن نفسه: أنا سوري والسلام!.. وكان أكثر شيء يحرص عليه هو المرأة السورية، فإذا عرف أن رجلاً ما اعتدى على امرأة أو حاول اغتصابها في أقصى أنحاء البلاد كان يذهب إلى القاضي المختص ويقول له:

سيدي، أنا لا أحب أن أتجاوز القانون، لذلك جئت إليك لأحث سيادتك على إنزال أقسى العقوبات بهذا الواطي الذي يريد تخريب المجتمع بعدوانه على هذه الإنسانة البريئة.

خالتي، كبيرة الجحشات في مربطنا، حينما انتهت من سماع هذا التقرير المؤثر، انفلتت بالبكاء، وقالت:

عيني أنت يا رفيق هلال الأسد. والله لو عاد الأمر لي لفديتك بنص جحاش هذا البلد المعطاء!

الحشاش الإرهابي

يكتبها مسطول أصلي
أبو طعجة

بدأت قصتي مع الحشيش والتحشيش منذ حوالي ثلاث سنوات عندما كنت عائدًا من الشام باتجاه قريتي البعيدة في الشمال.. يومها توقف "الهوب هوب" الذي كنت أستقله في منتصف المسافة لأسباب غامضة لا يعلمها إلا الله والسائق.. فقررت بعد رهان أقمتُه مع أحد الركاب (على خمسمية ليرة سورية وصندويشة كباب) أن أنزل من الباص وأكمل الطريق إلى ضيعتي سيرًا على الأقدام.. ويقتضي الرهان أن أصل قبله وألتقي به هناك في الضيعة بعد أن تتم عملية تصليح الباص ليعاود المسير بركابه!..

المهم نزلت من الباص وبدأتُ رحلتي الطويلة التي تبدأ بخطوة، كما يقولون..

كان من الأسباب التي دفعتني إلى اقتراح الرهان بثقة هو أنني أعرف هذا السائق جيدًا، وأعرف جهله بتصليح الباصات ويباسة رأسه وثباته على نغمة (باصي.. وأنا الوحيد يلي بيفهم فيه)! بالإضافة إلى أن حملي خفيف، فأنا لا أحمل إلا حقيبة صغيرة تحوي قليلاً من الملابس الخاصة بي..

على الطريق، وعندما بدأ التعب ينال مني، التقيت بشخص علمتُ فيما بعد أنه من أعداء الوطن! اقترح عليَّ طريقًا مختصرًا للوصول سريعًا إلى الضيعة بعد أن أخبرته بقصة الرهان الذي أقمتُه مع أحد الركاب.. كان اقتراحه للطريق المختصر يقضي بأن أمنحه نصف قيمة المبلغ ونصف سندويشة الكباب حالما أحصل عليهما..

وبلا طول سيرة، دخلنا في نفق طويل يدعى نفق الحشيش، وخرجنا منه بعد ساعة حيث وجدت نفسي في وسط ضيعتي. سلمت على أصدقائي وجيراني وتحادثت معهم لأتأكد أنني وصلت بالفعل إلى ضيعتي وليس إلى مكان آخر.. وطبعًا كسبت الرهان وحصلت على المبلغ والسندويشة من الراكب الذي أوصله الباص إلى الضيعة بعد عدة أيام! وأعطيت ما حصلتُ عليه كاملاً (ليس نصفه) لزميلي في الحشيش، عفوا زميلي في النفق، أقصد زميلي في الطريق، لأنه وفر علي عناء رحلة طويلة..

بعد هذه الحادثة الغريبة بدأ كل شيء يتغير من حولي.. وموضوع الحشيش الذي ابتليت به تأكدت أنني أعاني منه أثناء مشاهداتي لنشرات الأخبار على القنوات المختلفة، فالحشيش كان يفعل فعله في رأسي وأنا أشاهد ذات القناة تتحدث في الصباح عن خبر، وتنفيه في المساء "لعن الله الحشيش والأخبار"!.. وأشاهد محللاً سياسيًا- تقول المذيعة إنه وطني- والسعادة تغمره عندما يتحدث عن الصمود في وجه الشعب والتصدي له "الله ينتقم ممن ابتلاني بهذا السم الذي يُذهب العقل والذاكرة".. مع ذلك كانت حالتي مقبولة قبل أن أشاهد برنامج "اعترافات إرهابي" تبثه الفضائية الوطنية.. ههنا كاد عقلي يخرج من برج يافوخي وأنا أرى الرجل الذي رافقني في نفق الحشيش على التلفاز، وهم يعرفونه بأنه واحد من ألد أعداء الوطن! وقالوا، بالحرف الواحد، إنه تقاضى خمسمئة ليرة مع صندويشة كباب من "دولة عدوة للمقاومة والممانعة"، بغرض التظاهر ضد النظام وبث القلاقل بين الناس ودفعهم للمساس بهيبة الدولة!!!!!!!!..

الحشيش الذي كان يعتمل في رأسي كاد يدفعني لأصدق أنني دولة كاملة! ولكنني بالتأكيد لست ضد المقاومة والممانعة..

كانت هذه التفاصيل صغيرة وتافهة مقارنة مع ما أصبحت أراه فيما بعد عندما استفحل الحشيش في جسدي، فأصبحت أرى السماء وهي تمطر البراميل فوق رؤوس الناس! والناس الذين يعيشون تحت سماء البراميل يؤمنون بحقهم في الحياة فيبيعون ويشترون وهم ينتظرون البرميل القادم..

بقي أن أقول لكم مسألة على قدر كبير من الأهمية.. أرجوكم أصغوا إلي جيدًا.. المسألة هي.. المسألة هي.. اووف.. ولك شو اللي عم يصير؟ كأني نسيت.

طيب في حل. إذا ممكن عطوني فرصة حتى آخد شحطة وتابع الحديث معكم.

فتشوا عن مغزاها

أيها الطبيب لا تترك البغل يعنطز

ابتسام الرواية السورية
ابتسام تريسي

حينما كان رجال الشرطة يصطحبون الدكتور المناضل الملقب بـ "الفلتة" إلى المخفر، ضحك جارنا أبو عباس وقال:

هذا الدكتور العجيب له قصة طريفة لا يعرفها أحد غيري..

سأرويها لكم:

١ -

بدأ نبوغه على نحو مبكر، ففي طفولته السعيدة، كان يصر على ركوب الصعب، والصعب ليس "الأمور المستحيلة"، بل هو اسم البغل الذي يملكه جارهم "ديبو"، على الرغم من الخلاف القائم بين والده وديبو بسبب "شقفة" الأرض التي دقّها ديبو بحوافر بغله، وجعلها دربًا، يمرُّ منه إلى أرضه!

ولأنّ والده كان متعلمًا ومتنورًا، فقد لجأ إلى القضاء، لمنع ديبو من المرور في أرضه. وباب المحكمة كمغارة علي بابا، من يدخل فيه، ينسى كلمة السر، وتبتلعه المغارة! وهكذا أصر بطلنا الفلتة، على ركوب الصعب "الداشر" في البرية، ذات عصر، متحديًا رفاقه الذين ضحكوا من قدراته الجسدية. ولأنّ الصعب بغل "شموس" لا يرضى أن يركبه أحد، فقد رمى بطلنا بعد أن اعتلى ظهره، ومرّغه بالتراب، وجعله مضحكة لمن هبّ ودبّ... عندها حدث ما لم يتوقعه أحدٌ من رفاقه الغارقين بالضحك، نهض بطلنا بسرعة- من دون أن ينفض ملابسه من الأتربة- وأمسك البغل من ذنبه، وشدّه بعنف. لا تذهبوا بمخيلتكم بعيدًا، ولا تتصوروا أنّ بطلنا قد استطاع اقتلاع ذنب البغل، ولكنه تمكن من أن ينتقم من البغل شر انتقام، فقد لقطه بكلّ قوة تجمعت لديه، وعضّه عضّة لئيمة! جعلت البغل يولي الأدبار، وهو يتوجع بصوت لا ينتمي للنهيق ولا للصهيل! فلقبوه منذ ذلك الوقت بـ "أبو ساعة" نظرًا لأنّ البغل، احتفظ بشكل يشبه الساعة على مؤخرته مكان أسنان بطلنا! ولأنه أيضًا، وقع، وتمرّغ بالأرض كمن (وقع في الساعة) بعد العضة التاريخية التي نالها!

٢ -

حين ظهرت نتيجة الثانوية العامة، كان والده ينتظر أن يتوج ابنه على أملاكه لدخوله سن الرجولة، ولأنه الطبيب المنتظر الذي سيقلع به عين أعدائه. لكن، وعلى الرغم من العلامات التي حصل عليها من دورة المظليين، ودورة الصاعقة، بقي معدّل علاماته قليلاً، لا يسمح له بدخول كلية الطب، مما اضطر والده لبيع قطعة أرض، كي يرسله للدراسة في الاتحاد السوفيتي. وجلس ينتظر عودته سنوات عشر.

حين عاد بعد تلك السنوات، كان كلّ شيء على حاله! القضية ما زالت في المحاكم، وما زال ديبو يدق الدرب بحوافر بغله ليصل أرضه، على الرغم من الطراطير والسوزوكي التي ملأت البلدة!

٣ -

وبعد أن استقر في عيادته الجديدة، وتزوج أجمل فتاة في البلد... جاءه والده يومًا، ليسرّ له، أنه قرّر إنهاء المشكلة العالقة بينه وبين ديبو، ما دام القانون لم يستطع أن يجد له مخرجًا، بل نَصَرَ ديبو عليه! بأن سمح لديبو بالمرور في أرضه محتجًا بحق الارتفاق! ومع أنّ والده لم يبح له بساعة الصفر، ولا الكيفية التي سينهي بها القضية، إلا أنه توجس خيفة من عباراته المريبة، وأضمر في نفسه أمرًا!

لم يمهله الوقت لتنفيذ ما أضمره، فقد فاجأه المُرابع الذي يعمل في أرضهم، ظهر اليوم الثاني، وهو جالس في عيادته ينتظر الزبائن، ويحلم بالليرات، فاجأه بصراخ مذبوح "الحقنا يا حكيم". فنهض ملسوعًا بهاجس لم يدرك قسوته حتّى وصل الكرم العالي. حينها رأى والده ممددًا على الأرض، ممرَّغا بالتراب، وأنفاسه تتلاشى. صرخ به المتجمعون حول الجسد المتخبط بالدماء "أسعفه" لكن الحكيم نسي كلّ ما تعلمه في روسيا، ولم يعرف كيف يتصرّف، فأمر هم بحمله إلى المستشفى، وهناك لفظ أنفاسه الأخيرة.

وبعد انتهاء أيام العزاء والحزن، أتى أعمامه يطالبونه بأخذ الثأر من ديبو، أو أحد أولاده... وجاء وجهاء البلدة ليتوسطوا بحلّ المشكلة ودِّيا، فيقبل بأخذ الدّية!. فكر الحكيم طويلاً، ولم يتّخذ قراره. بل انتظر أيامًا طويلة، وهو يستعيد في ذهنه الحادثة. (والده يعترض طريق ديبو حاملاً بارودته القديمة، ويمنعه من المرور. فقد بلغ السيل الزبى، بعد أن طلع القانون "بفنة" جديدة، تمنح ديبو حق توسيع الطريق بما يسمح بمرور سيّارة! ديبو سخر من والده فهو في الموقع الأقوى، ونزل من فوق ظهر بغله بهدوء، وتقدم من والده صارخًا: ابتعد عن الطريق.

فما كان من والده إلا أن "خَرْطَشَ" البارودة، وصوّبها إلى صدر ديبو، وفي غفلة منه، التفّ البغل و"لبطّه" بسرعة، أوقعته أرضًا، فنزل رأسه على حجارة الطريق الصلبة، و"تخردق" جسده برصاص البندقية، التي اندفعت إلى صدره!.

تلك الصورة المريعة لمقتل والده، لم تفارق ذهنه لحظة، حتّى بدأ الغضب يأخذ منه عقله، وأعمامه يزيدون النار اشتعالاً بمزيد من التحريض على الأخذ بالثأر.

اندفع الحكيم إلى غرفته، أخذ مسدسه من الدرج، وحشاه بالطلقات، وخرج من البيت لا يلوي على شيء، غير آبه بصراخ زوجته، وتوسلات أمّه، فقد أخذ قراره، ولم يعد هناك مجال للتراجع. وسار الناس وراءه مذهولين، محمومين بما سيحدث... أطفال تجمعوا من كلّ الأرجاء، رجال أغلقوا دكاكينهم، أصحاب الكروم ركضوا يخبرون ديبو، أولاد ديبو تواروا عن الأنظار، كبار البلدة تجمعوا بسرعة، محاولين اللحاق به لمنع حدوث الجريمة. لكنّ أحدًا لم يستطع أن يوقف الزوبعة التي كانت تغلي في صدره، وصل الكرم قبلهم جميعًا، أخرج مسدسه المتخم بالرصاص، صوّبه إلى الهدف، وصاح بكلّ ما أوتي من قوة "الله لا يردك يا قاتل"!

كان الجمود يسيطر على الوجوه المغبرّة، والذهول ترك العيون المحدّقة في المشهد، جاحظة لدقائق... لم يستوعب أحدٌ ما حدث... حتّى قال الحكيم ضاحكًا:

"يا جماعة، اذهبوا إلى بيوتكم، فقد أخذ العدل مجراه، ثأري عند البغل، فهو القاتل الحقيقي، وقد أخذته"!

شوية حيطان وسقف

حافظ الأسد الذي لا يكذب

غ. ج

القصة الأولى: معقولة يكذب؟

لن أنسى ذلك اليوم النادر الذي فتحوا فيه أبواب جميع المهاجع في سجن تدمر العسكري، بما في ذلك مهاجع الإخوان المسلمين، وطلبوا من الجميع أن يجلسوا على أرض الساحة، بمحاذاة الجدار الذي يحيط بكل مهجع. كان يومًا مشمسًا، وكان مجرد الجلوس عقوبة لمعتقل يشتهي أن يتحرك ويمشي تحت الشمس.

كان الغموض يسيطر على الموقف. فالحراس الذين يعتلون سطح المهجع كانوا أكثر مما يجب.. والملفت أيضًا أنهم ثبتوا مكبرات صوت بدائية خلف الأسلاك الشائكة التي كانت تحجب، حتى سماء الساحات، تحسبًا لأي هجوم محتمل من الفضاء..

تبين لنا أخيرًا أنهم سيبثون لقاءً صحفيًا للسيد رئيس الجمهورية حافظ الأسد، تجريه صحيفة أمريكية، لم أعد أذكر اسمها.. وما إن بدأ البث حتى وقف حراس السطح باستعداد، وطلب منا الحارس الأرضي أن نقف أيضًا، فوقفنا.. وخيم علينا صمت غامض مقلق، وتوقنا جميعًا أن نسمع خبرًا هامًا.. وتتالت الأسئلة والأجوبة نحو ساعة، ونحن نقف باستعداد وننتظر.. كان عدد مهجعنا فقط أكثر من ٧٠ رجلاً, وكان عدد السجناء في تدمر وحدها، يفوق ١٠٠٠٠ رجلاً وطفلاً وامرأة..

وكم كانت دهشتنا كبيرة عندما سألته المذيعة عن آلاف المعتقلين السياسيين في السجون السورية، وقال لها بالحرف: "لا يوجد لدينا معتقلون سياسيون في سورية. هذه الدعايات جزء من الحملة الإمبريالية الصهيونية المعادية لنا"!!!...

لم نجرؤ على النظر إلى الحراس أو حتى في وجوه بعضنا.. كدنا نصدق أننا غير موجودين, وأن ما يقوله الأب القائد، على الملأ، هو الحقيقة! لكن الحارس الأرضي، ما إن انتهى اللقاء حتى صرخ بنا مستعجلاً: على المهجع.. يا لله فوتوا على المهجع.. بسرعة..

لكنه قال ذلك محاولاً ألا ينظر في عيوننا..

كنا قطيعًا غير متجانس من المثقفين وأشباه المثقفين والبسطاء. وكان الصمت الجنائزي طقسًا لا تعلم من اخترعه أو فرضه.. لا صوت فيه غير صوت الحراس ووقع أحذيتهم الثقيلة. عنابر لا أحد يعلم كم عددها، تحوي ما يزيد على عشرة آلاف روح بشرية، لا تسمع لها حفيفًا أو نفسًا أو نأمة. كنا نشم الروائح الكريهة التي تملأ المكان. رائحة سجن تدمر التي لا تنسى.. رائحة الناس المحترمين الممزوجة بالعرق والعفونة والوسخ. وكنا نسمع بين الحين والآخر دربكة أقدام تشبه صوت قطيع من الثيران المطاردة, ولم نكن نشعر بعدها حتى بحركة بسيطة تحدث هنا أو هناك.. وفي الليل كان لا بد أن نسمع بين حين وآخر، أصوات عواء الذئاب الممطوطة التي تذكرنا بوجودها:

«قيـــف.. قيـــف.. قيـــف»

كان ذلك الطقس يعني الكثير للحرس ورئيس الحرس، أما نحن فقد تعودنا ولم يعد هذا يعني لنا شيئًا.. ما لم نتعود عليه أبدًا هو ما كان يحدث عند الهزيع الأخير من كل ليلة..

كان يسود نباح الكلاب البعيدة.. كلاب الفيافي الواسعة ونداء الصراصير، تقطعه قبل بزوغ الفجر، جلبة غامضة وصليل أقفال وأبواب حديد تفتح وتغلق بسرعة، وقراءة أسماء ما، يتلوها صمت طويل مريب، ما تلبث أن تخترقه حناجر المحكومين بالإعدام هاتفة: الله أكبر.. الله أكبر.. ثم يعمّ سكون الموت الجليل، ممزوجًا بالقلق والغضب والعجز.. كنا نعرف عدد المحكومين بالإعدام من تكبيراتهم.. وقيل إن أصواتهم كانت تصل إلى كل أرجاء البلاد.. لكننا في الفترة الأخيرة لم نعد نسمع حتى هذا التكبير.. باتوا يكممون أفواههم قبل التنفيذ، كي لا نسمع أصواتهم..

لم يكن أحد منا محكومًا بالإعدام. كنا نحن سكان المهجع ٦ على ما أذكر، مدللين ومميزين. فنحن معارضة يسارية وهم شياطين، ولذلك كانوا يكتفون بالدوس على رؤوسنا فقط دون قطعها!.. وكنا نعلم أن الطريق طويلة والمصير مفتوح على المجهول. وكي لا نشعر بالخواء ونفقد الأمل سريعًا، طالبنا الإدارة بتزويدنا بالكتب. وعندما رُفض طلبنا خطرت لنا فكرة طريفة: أن نعتمد على أنفسنا، ويفرغ كل منا ما في جعبته من معرفة وذكريات؟ كنا باقة من الاختصاصات المتنوعة الغنية: كتابًا وصحفيين وأطباء ومحامين وعمالاً وفلاحين وضباطًا ومهندسي مدن وبواخر وكهرباء، أساتذة جامعات واقتصاديين ومبدعين في المسرح والسينما والأدب والرسم والنحت.. وبدأنا نجتمع كل ليلة بعد العشاء مثل كومة من الثياب حول واحد منا، كي نستمع إليه وهو يحدثنا في اختصاصه، أو يستعيد شفويًا، كتابًا جميلاً أو رواية قرأها ذات يوم. وما أكثر الروايات والقصص التي اخترعناها وأعدنا تأليفها من جديد. روايات عربية وعالمية ارتجلناها بشكل جماعي، فاختلط فيها الخيال بالحقيقة وتبدلت شخوصها وأحداثها حتى أصبحت روايات من الأدب الغرائبي. ثم اقتربنا أكثر فأكثر من عواطفنا وذكرياتنا الخاصة الحميمية، وبدأنا نتحدث عن تجاربنا مع المرأة والحب والأمكنة.. كان الحديث ممنوعًا بعد الثامنة مساء، وكنا مضطرين للتحدث همسًا تقريبًا. وأذكر أن أحد الحراس كان يتنصت علينا من خلال فتحة السقف، عندما كنت أقص أول تجربة لي في الحب، وأنا في الصف الخامس الابتدائي. وما إن سلط الحارس ضوء فانوسه علينا حتى صمت الجميع، وصرخ الشاويش: «انتبيبيه. تهيأ» ووقفنا..

القصة الثانية: مين ها الجحش يلي طالع صوتو؟

ورغم أنني لم أكن جحشًا، رفعت يدي بعد تردد, فأمرني بالوقوف تحت الكوة على قدم واحدة..

شو! عامل لي حكواتي!!

صمتُّ.. أمرني أن أتابع الحكاية وأنا أقف تحت الكوة في مشهد مسرحي، على قدم واحدة، وفانوسه يضيء رأسي وكتفي.. وكان عليّ أن أقرر: إما أن أتابع الحكاية الغنية بالأحداث، أو أرفض الأمر وأنام ليلتي في الزنزانة المغمورة بماء المراحيض عقوبة لي. وما لبثت أن ابتسمت واخترت متابعة الحكاية. ولكنني اختلقت حوادث مروعة، سرعان ما أدت إلى موت الحبيبة التي لم تزل في الصف الرابع الابتدائي، كي أنهي حكايتي الغبية بأسرع وقت ممكن..

بمنتهى الجد والهزل

(كش ملك: هذه زاوية جديدة أحدثناها مكان زاوية تحيات إلى كش ملك..
فيها نختار مقالات مهمة تتناول الشأن السوري من الصحف العربية)

سوف نحميكم غصباً عنكم!

حازم صاغية

- الحياة- ٢٥ آذار (مارس) ٢٠١٤

منذ فترة لم تعد قصيرة يُروّج لدعوة أخرى، قد تكون أختاً توأماً للدعوة المشرقيّة التي لم يُكتب لها من الرواج ما يتعدّى القائلين بها. والدعوة الجديدة مفادها أننا (أي نظام الأسد، «حزب الله»، طهران) نحميكم (أي المسيحيّون واستطراداً باقي الأقليّات). وأحياناً، وخصوصاً مع ازدهار «مكافحة الإرهاب»، يتمّ التشديد على الدعوة هذه، حتى ليكاد يبدو أنّ النظام السوريّ وحلفاءه لا يفعلون ما يفعلونه دفاعاً عن بقائهم، بل لتوفير تلك الحماية.

الأمر، إذاً، إيثار وغيريّة محضان.

والحماية، وهذا بديهيّ، تفترض الحامي والمحميّ، أي القويّ والضعيف حكماً. وهي لم تكن بعيدة عن فهم كولونياليّ قرّب بين وظائف الانتداب ووظائف الحماية، خصوصاً حماية الأقليّات. والمفهوم هذا، من ناحية أخرى، لا يكتم معنى ذميّاً يحوج أحد طرفي العلاقة إلى حماية يوفرها طرف ثانٍ.

لكنّ إذا بدت حماية الأقليّات في مطالع القرن العشرين حاجة فعليّة، وهو ما عالجه المنتدبون بإنشاء الدول ووضع القوانين، فإنّ المسألة غدت تختلف الآن اختلافاً بيّناً. ذاك أنّ تلك الأقليّات لا تزال تعوزها الحماية بعد نصف قرن من حكم بعثيّ و «علمانيّ» يُفترض أنه لا يقيم أيّ تمييز بين «عرب سوريّين» و «عرب سوريّين» آخرين!

ما من شكّ، وكائناً ما كان الحال، في وجود مشكلة أقليّات دينيّة ومذهبيّة، ينكرها كثيرون. لكنّ ما من شكّ أيضاً في أن أحد أبرز أسباب استمرار تلك المشكلة كامن في ذاك النظام البعثيّ والأسديّ إيّاه. بيد أنّ التكحيل بالعمى هو أن تأتي الحماية الموعودة تكراراً للعقليّة الذميّة التي سبق أن «حمت» فتولّد عن «حمايتها» المديدة ما نعيشه اليوم من حاجة إلى الحماية.

والنزعة الحمائيّة هذه، في معزل عن دولة تحترم القانون وتعامل المواطنين بالمساواة، ليست غريبة عن منطق سبق أن استعرض نفسه على نحو موسّع، ولا يزال، خصوصاً في لبنان.

ذاك أنّ «حزب الله»، ومن ورائه النظامان السوريّ والإيرانيّ، يريد منذ مطالع الثمانينات أن يحمينا أيضاً، من خلال «مقاومة العدوّ الإسرائيليّ»، وهذا بغضّ النظر عمّا قد نراه طريقاً أخرى لتفادي ذاك الخطر.

لكنّ، ليس بلا دلالة أنّ الزمن البادئ منذ تلك الحماية هو بالضبط زمن تقهقر الدولة والقانون وتعاظم الفوارق بين المواطنين. فيوم ٦ شباط (فبراير) ١٩٨٤ الذي كان الولادة الفعليّة لسلطة «حزب الله» هو نفسه يوم طرد السلطة اللبنانيّة من بيروت ومناطق لبنانيّة أخرى.

وهنا نجدنا أمام خليط من نزعة تمثيل تمثلنا من دون استشارتنا، وصولاً بنا إلى الموت في يبرود أو غير يبرود، ومن نزعة «فيجيلنتي» تنوب عن الدولة وتمعن في تحطيمها لأنها تعرف مصالحنا وترعاها أكثر ممّا تعرف الدولة وأكثر ممّا تنوي وتسعى.

وهكذا فإننا مرّة نُحمى كمواطنين، فيما تهان مواطنيّتنا التي تقلّ وزناً عن مواطنيّة المسلحين المقاومين، ومرّة نُحمى كأقليّات فيما يصار إلى تصديع الدول والقوانين التي تحمي فعلاً. ودائماً نُحمى غصباً عنّا.